حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم
دراسة نظرية تطبيقية

إعداد

الدكتور/ إبراهيم رمضان عبد القادر الباز

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية:

بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية

إبراهيم رمضان عبدالقادر الباز

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: Ebrahimdr496@gmail.com

ملخص البحث:

أنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين؛ قال تعالى- وهو وأصدق القائلين-: **"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف: ٢)**، ومن تمام عروبته: نزوله بالأوجه والأغراض والأساليب التي تكلم بها العرب في كلامهم، كالحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير وغير ذلك من فنون المعاني والبيان والبديع ؛ بل إن أسلوبه يفوق أسلوبهم في أي مجال وأي غرض وأي فن.

ومن الأساليب التي استخدمها العرب في كلامهم **أسلوب الاقتضاب**، وهو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة ظاهرة، والقرآن الكريم زاخر بالأمثلة التي تدل على هذا الأسلوب مما يضفي على المعنى جمالًا ورونقًا؛ لذلك - وبعد استخارة الله -ﷻ- أحببت أن أكتب في هذا الموضوع تحت عنوان: **"بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية"**. وقسمت بحثي إلى: مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة.

وتوصلت في نهاية بحثي وخاتمته إلى أن حسن التخلص والاقتضاب يتوسطان مرحلة الابتداء والانتهاء في الكلام العربي، وهي مواضع يتأنق فيها الشاعر، فما بالنا بكلام الله ﷻ، وهو قمة البلاغة؟!!

الكلمات الافتتاحية: بلاغة، الاقتضاب، أسلوب، القرآن الكريم.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

The Eloquence of Conciseness in the Style of the Holy Quran: A Theoretical and Applied Study

Ibrahim Ramadan Abdul Qader Al-Baz
Department of Tafsir and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: Ebrahimdr496@gmail.com

Abstract:

Allah Almighty revealed His Book in clear Arabic; He, the most truthful of speakers, said: "Indeed, We sent it down as an Arabic Quran that you may understand" (Yusuf: 2). Part of its Arabness is its revelation in the forms, purposes, and styles that the Arabs used in their speech, such as truth and metaphor, precedence and postponement, and other arts of meanings, rhetoric, and eloquence; indeed, its style surpasses theirs in any field, purpose, and art.

One of the methods used by the Arabs in their speech is the style of brevity, which involves transitioning from the opening of the speech to the intended point without any apparent connection. The Holy Quran is rich with examples that illustrate this style, adding beauty and elegance to the meaning. Therefore, after seeking guidance from Allah, I wished to write on this topic under the title: "The Eloquence of Brevity in the Style of the Holy Quran: A Theoretical and Practical Study." I divided my research into an introduction, a preface, six sections, and a conclusion. In the conclusion of my research, I found that the art of transition and brevity lies between the stages of beginning and ending in Arabic speech, which are points where the poet refines his words. What

then can be said about the words of Allah, which represent the pinnacle of eloquence?

Keywords: Eloquence, Brevity, Style, Holy Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد أنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين؛ قال تعالى – وهو وأصدق القائلين–: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف: ٢)، ومن تمام عروبته: نزوله بالأوجه والأغراض والأساليب التي تكلم بها العرب في كلامهم، كالحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير وغير ذلك من فنون المعاني والبيان والبديع؛ بل إن أسلوبه يفوق أسلوبهم في أي مجال وأي غرض وأي فن.

ومن الأساليب التي استخدمها العرب في كلامهم أسلوب الاقتضاب، وهو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة ظاهرة، والقرآن الكريم زاخر بالأمثلة التي تدل على هذا الأسلوب مما يضفي على المعنى جمالا ورونقا؛ لذلك – وبعد استخارة الله –ﷻ– أحببت أن أكتب في هذا الموضوع تحت عنوان: " بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ – جدة الموضوع مع قلة البحث والكتابة فيه في مجال الدراسات القرآنية؛ فلم يُخَصَّص ببحث أو مؤلَّف مستقل؛ فأردت أن أسهم بإضافة في المكتبة القرآنية.

٢ – الفائدة الكبيرة التي أرجوها من خلال هذا البحث؛ حيث يستدعي الاطلاع على المصادر والمراجع في مجالات الأدب، والبلاغة، والتفسير وعلوم القرآن.

٣ – رغبتي في إضافتي بهذا البحث لِلَبنات البحث العلمي التي أرجو بها الترقية مستقبلا – بمشيئة الله تعالى – في جامعتنا العريقة جامعة الأزهر الشريف.

الدراسات السابقة:

في حدود علم الباحث لا توجد دراسة مستقلة سابقة عن الاقتضاب أو بلاغة الاقتضاب في

أسلوب القرآن الكريم، وما وجد من دراسات خاصة بالاقتضاب إنما كانت ضمنيا أثناء الحديث عن حسن التخلص، وخاصة في الدراسات البلاغية، أو علاقة الاقتضاب بالمناسبات في القصائد العربية، وخاصة الشعر الجاهلي؛ أما كتب علوم القرآن فقد أشارت إلى الاقتضاب بإيجاز أثناء الحديث عن مناسبات القرآن الكريم، كالإمام السيوطي في الإتقان، والدكتور عبد العظيم المطعني في رسالته الدكتوراه بعنوان: "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية" التي طبعت عام ١٩٩٢م، وغيرهما من السادة العلماء الأعلام، ومن الدراسات البلاغية التي تناولت أسلوب الاقتضاب:

١ – الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، بحث منشور للدكتور أحمد حسن رمضان حسن، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الرابع والثلاثون، ١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢١م.

٢ – حسن الابتداء والخروج والانتهاء وعلاقة ذلك بوحدة القصيدة، ، بحث منشور للدكتور عبد الباري طه سعيد، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الحادي عشر، مؤسسة البستاني للطباعة والنشر، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م .

٣ – حسن التخلص ودلائل التماسك في الشعر الجاهلي، دراسة في مسالك تأليف المختلف، بحث منشور للدكتور أحمد حسن رمضان حسن، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، ضمن بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية، ٢٠١٨م.

وسأستفيد – بمشيئة الله – من هذه الدراسات في الجانب النظري من حيث الوقوف على كلمة تاريخية في الاقتضاب وتعريفه، أما هذه الدراسة فتختلف عنها في الجانب التطبيقي على نماذج من آيات القرآن الكريم، وموقف الاقتضاب من علم مناسبات آيات القرآن الكريم.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في تناول أسلوب الاقتضاب من ناحية التعريف الشائع في علم المناسبات، وهو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة، والعلاقة بينه وبين حسن التخلص، ثم موقف الاقتضاب من علم مناسبات آيات القرآن الكريم، مع التطبيق على بعض نماذج من آيات القرآن الكريم التي احتوت في مناسباتها بما قبلها على أسلوب الاقتضاب.

منهج البحث:

أنتهج في هذا البحث المنهج التاريخي، والوصفي الذي يقوم على الاستقراء والانتقاء، والتحليل والاستنباط؛ فأقوم بتتبع أسلوب الاقتضاب في كتب البلاغة والأدب، ثم كتب علوم القرآن الكريم، وأستقرئ آيات القرآن الكريم التي أشار العلماء إلى بلاغة الاقتضاب أثناء تفسيرهم لها، وأختار بعض هذه النماذج مع التوجيه التفسيري لها، والوقوف على الأسرار البلاغية فيها .

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث بتقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة حول هذا الموضوع، ثم حدود الدراسة، ومنهج البحث، وخطته، وخطوات السير فيه.

و أما التمهيد فيتناول كلمة تاريخية في أسلوب الاقتضاب.

ثم جاءت المباحث الستة كالتالي:

المبحث الأول: تعريف أسلوب الاقتضاب والعلاقة بينه وبين حسن التخلص.

المبحث الثاني: الاقتضاب وعلم مناسبات آيات القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الاقتضاب باسم الإشارة (ذلك) .

المبحث الرابع: الاقتضاب باسم الإشارة (هذا) .

المبحث الخامس: الاقتضاب في المناظرات.

المبحث السادس: الاقتضاب بغير أداة.

والخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج والمقترحات والتوصيات.

ثم ذيلت البحث بثبت أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

خطوات السير في البحث:

أسير في هذا المبحث بالخطوات التالية:

أولًا: أقوم بتتبع كلمة الاقتضاب في كتب البلاغة والأدب، ثم كتب علوم القرآن الكريم، وأستقرئ آيات القرآن الكريم التي أشار العلماء إلى بلاغة الاقتضاب أثناء تفسيرهم لها؛ ثم أقسم ما توصلت إليه حسب الخطة السابقة.

ثانيًا: أضع الجانب النظري عن أسلوب الاقتضاب وبلاغته في التمهيد والمبحث الأول فقط، ثم الجانب التطبيقي من أول المبحث الثاني إلى المبحث السادس – بمشيئة الله تعالى–.

ثالثًا: أقوم بتوثيق وتحقيق النصوص كالتالي:

١ – أعزو الآيات القرآنية إلى سورها الكريمة، مع بيان رقم الآية، وضبطها وحصرها بين قوسين.

٢ – أوثّق النصوص توثيقا علميا دقيقا من مصادرها الأصيلة، وأعزو كل نص إلى صاحبه، وأذكر الطبعة والناشر في ثبت المصادر والمراجع.

رابعًا: لا أقوم بتعريف الأعلام، وأكتفي بذكر أسمائهم كاملة وتاريخ وفياتهم في ثبت المصادر والمراجع.

ونسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويكتب لنا القبول في الدنيا والآخرة.

التمهيد

كلمة تاريخية في أسلوب الاقتضاب

نعني بذلك الحديث عن الاقتضاب في الأدب والبلاغة.

ويكون الحديث تحت العناصر الآتية:

١ – الاقتضاب مذهب شعري حاضر بقوة في الشعر الجاهلي.

٢ – براعة الشعراء المحدثين في التخلص أكثر من الاقتضاب.

٣ – حديث البلاغيين عن أسلوب الاقتضاب.

١ - الاقتضاب مذهب شعري حاضر بقوة في الشعر الجاهلي:

قال ابن الأثير - عن الاقتضاب -: " وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين"[(١)]؛ فالاقتضاب مذهب شعري، كان له حضور قوي في الشعر الجاهلي، وهو من دلائل تفوق هذا البيان؛ لكون الاقتضاب مسلكا صعبا دقيقا، يستدعي مزيدا من التأمل والإصغاء[(٢)].

ولو تأملنا القصيدة الجاهلية وجدنا من أهم خصائصها طريقة الاقتضاب، وأن الشاعر إذ يبدأ قصيدته بوصف الأطلال، أو الغزل، أو نحو ذلك مما درجت عليه مطالع القصائد الجاهلية يقطع الكلام فيه فجأة، وبدون تنبيه، ويشرع في حديث جديد، وكلام آخر، وتتجلى بلاغة العربي حينئذ في كونه يفيض من ذوب عاطفته في أثناء هذين الكلامين المختلفين ما يجعل بينهما من الوشائج والصلات التي لا يلحظها إلا من يتقن قراءة الخواطر، ورؤية المشاعر، ومعايشة الأفكار، وإلا من انداح مع الشاعر، وعاش معه نفس تجربته، ونفس مشاعره، ونفس همومه، وهذا مما يتغياه الشاعر، يحرص على أن يجعل المتلقي مصغيا إليه، منتبها له، منشغلا به، يسعى لهذا بشتى الطرق والسبل، ولذا نجد ابن قتيبة يعلل سر بدأ الشاعر الجاهلي قصيدته بالغزل بكون النفوس أميل لحديث النساء، كما علل آخرون لتعدد الأغراض في القصيدة الجاهلية، بكون ذلك أدعى لنشاط النفس، وأبعد عن رتابة الكلام الواحد الذي يحتذي وتيرة واحدة[(٣)].

وقال الشيخ حبنكة - بعدما تكلم عن التخلص -: " ولم يكن هذا الفنّ (أي: التخلص) متّبعًا

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣/ ١٢١.

(٢) الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، د/ أحمد حسن رمضان حسن، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الرابع والثلاثون، صـ ١٨٩٨، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م، صـ ١٩٥٦.

(٣) الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، صـ ١٨٩٨.

عند شعراء وخطباء العرب القدماء، بل كانوا ينتقلون من الْغَزَل أو وصف أرضهم وأنعامهم، أو الحديث عن قومهم أو بطولاتهم أو غير ذلك، إلى المدح أو الاستجداء أو غير ذلك مما هو مقصودُهم الأساسي انتقالاً مفاجئًا، أو يفصلون بنحو قولهم: "دعْ ذا" و"عَدِّ عنْ ذا" أو بغير ذلك ممّا يُشْعِرُ بانتهاء كلام سابق وابتداء كلامٍ جديد في موضوعٍ آخر، ويُسمَّى هذا "اقتضاباً"[(١)].

وقال يحيى بن حمزة: " هو مذهب الشعراء المتقدمين من العرب كامرىء القيس والنابغة وطرفة ولبيد، ومن تلاهم من طبقات الشعراء"[(٢)].

ولكي أضرب مثالا على الاقتضاب من الشعر الجاهلي؛ آخذ من تعريف الشيخ الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي للاقتضاب قوله – عن الاقتضاب–: "ويطلق في اصطلاح المعاني على الانتقال من الغزل إلى المدح من غير تخلص[(٣)].

فمن الشعراء من كان يتخلص من حديث المحبوبة، واسترجاع الذكريات، واستحضار مشهد الرحيل للمدح بوصف ناقته التي قطع بها لبانة من تعرض وصله، وتجسم بها الصعاب ليصل إلى الممدوح، فيكون الشاعر قد ربط بذكر الناقة بين الغزل والمديح، وقد كان أبو اللحام التغلبي واحدا من هؤلاء الشعراء الذين يحسنون التخلص من غرض لآخر على هذا النحو، ومن ذلك قصيدته[(٤)] التي استطاع فيها بحنكة فنية، ومهارة تعبيرية أن يدمج الأغراض المختلفة في حديث

---

(١) البلاغة العربية، ٢/ ٥٦١.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفي: ٧٤٥هـ)، ٢/ ١٨١.

(٣) حَاشِيةُ الشِّهَابِ على البيضاوي، ٥/ ٩٧.

(٤) قصيدة أبي اللحام التغلبي في شعر تغلب صـ ١٩٩، هو أَبُو اللَحَّام التغلبي، شاعرٌ جاهلي، اسْمه: حريثٌ مصغر حَارِث، عاش حتى فترة متأخرة من الجاهلية، حضر يوم الكلاب، وله فيه شعر. ينظر: خزانة =

=

الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفي: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ٨/ ٥٥٩. وهذه هي القصيدة:

أَيَئِسْتَ مِن أَسماءَ أَم لَم تَيأَس ... وَصَرَمتَ شَبكَ حبالها المُتَلَبِّسِ

لا تَحزُنَنكَ فَإِنَّها كَلبِيَّةٌ ... كَالرِّئمِ يَبرُقُ وَجهُها في المَكنِسِ

وَبَدا سَلاسِلُ مُزبِدٍ مُتَوَقِّدٍ ... كَالجَمرِ تُذكِيهِ الصَّبا وَمُكَرَّسِ

وَكَأَنَّ طَعمَ مُدامَةٍ جَبَلِيَّةٍ ... قَد عُتِّقَت سَنَتَينِ لَمّا تُنكَسِ

وَالزَّنجَبيلَ وَطَعمَ عَذبٍ بارِدٍ ... يَعلو ثَناياها مِنَ المُتَنَفِّسِ

دَعها وَسَلِّ طِلابَها بِجُلالَةٍ ... عَيرانَةٍ كَالفَحلِ حَرفٍ عِرمَسِ

لِلصَّيعَرِيَّةِ فَوقَ حاجِبِ عَينِها ... أَثَرٌ يُبَيِّنُهُ وَلَمّا يَدرُسِ

تَستَنُّ في ثَني الجَديلِ وَتَنتَحي ... كَالثَّورِ رِيعَ مِنَ الحِلابِ الأَخنَسِ

وَكَأَنَّ جادِيّاً بِهِ وَأَرَندَجا ... وَبِوَجهِهِ سُفعٌ كَلَونِ السُّندُسِ

جُلذِيَّةٌ تَطِسُ الإِكامَ نَجِيحَةٌ ... كَالجَأبِ يَنفُضُ طَلَّهُ المُتَشَمِّسِ

أَنضَيتُها بَعدَ المِراحِ إِلى امرِئٍ ... جَلدِ القُوى في كُلِّ ساعَةَ مَحبِسِ

طَلقٍ يَراحُ إِلى النَّدى مُتَبَلِّجٍ ... كَالبَدرِ لا فَهِةٍ وَلا مُتَعَبِّسِ

إِلى اِبنِ هِندٍ خَذرَفَت أَخفافَها ... تَهوي لمُعتَمِدٍ بعيدِ المُحدِسِ

المُشتَرِي حُسنَ الثَّناءِ بِمالِهِ ... وَإِذا تَوَجَّهَ مُعطِياً لَم يَحبِسِ

وَلَأَنتَ أَجوَدُ مِن خَليجٍ مُرسَلٍ ... مُتَتابِعِ التَّيّارِ غَيرِ مُسَجَّسِ

حِيَيَت لَهُ جَبلاءُ مِن فَوقِ الصَّفا ... مَجرٌ يَمُرُّ عَلى الخَليجِ الأَخرَسِ

لُقمانُ مُنتَصِراً وَقُسٌّ ناطِقاً ... وَلَأَنتَ أَجرَأُ صَولَةً مِن بَيهَسِ

=

واحد، وأن يوجد بينهما من العلاقات والصلات ما يجعلها متشابكة منسجمة.

=

يَقِصُ السِّباعَ كَأَنَّ حَلّا فَوقَهُ ضَخمٌ مُذَمِّرُهُ شَدِيدُ الأَنحُسِ

فنجد الشاعر انتقل من ذكر أسماء إلى وصف ناقته، ثم إلى المديح دون أن يشعر المتلقي بما بين تلك الأغراض، رغم اختلافها، من وثبات، فإنه لا علاقة في أصل الكلام بين التشبيب بأسماء، ووصف الناقة، ولا علاقة ظاهرة كذلك بينهما وبين المديح، بل إن كل غرض من تلك الأغراض يعد موضوعا قائما بذاته، بحيث لا ينبغي أن يتخلله إلا ما كان منه بسبيل، لكن الشاعر قد استطاع بحنكة فنية، ومهارة تعبيرية أن يدمج تلك الأغراض المختلفة في حديث واحد، وأن يوجد بينهما من العلاقات والصلات ما يجعلها متشابكة منسجمة، بحيث لا يدرك المتلقي ما بينها من اختلاف، بل يمر عليه الكلام مرورا واحدا؛ فلا يشعر بأن في الكلام غرضين، أو أكثر. يراجع: الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، صـ ١٩٣٩.

٢ – براعة الشعراء المحدثين في التخلص أكثر من الاقتضاب

قال ابن الأثير: " وأما المحدثون فإنهم تصرفوا في التخلص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة"[١].

ليس معنى هذا أنهم لم يستخدموا الاقتضاب[٢]، وإنما برعوا في التخلص أكثر منه؛ فإذا كان الاقتضاب مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين؛ أي: مذهب عرب الجاهلية ومن يليهم وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، فإن الشعراء الإسلاميين والمحدثين أيضًا قد أتبعوهم في ذلك وجروا على مذهبهم لكن الأكثر فيهم التخلّص.

وقال يحيى بن حمزة: "أما المحدثون من الشعراء كأبي تمام وأبي الطيب وغيرهم ممن تأخر؛ فإنهم تصرفوا في التخليصات فأبدعوا فيها وأظهروا كل غريبة كما أسلفنا تقريره[٣].

ومن الأمثلة على ذلك: قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة[٤] التي أولها:

أجارة بيتينا أبوك غيور[٥].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣/ ١٢١..

(٢) المثال على ذلك: لما استشهد أو مثَّل السعد التفتازاني مثالا للاقتضاب جاء به من شعر أبي تمام وهو كان في زمن المعتصم، من الدولة العباسية:

لو رأى الله أنّ في الشّيب خيرا جاورته الأبرار في الخلد شيبا

كلّ يوم تبدى صروف اللّيالى خلقا من أبى سعيد غريبا

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ١٨١.

(٤) "الديوان ٤٨٠"، من قصيدته في مدح الخصيب، بالديوان "عن بيتها" وفيه "الخصيب". بوادر: دموع مستبقات. عبير: رائحة ذكية، أي: اختلط هممها بعبيرها.

(٥) قال عند الخروج إلى ذكر الممدوح:

=

٣ - حديث البلاغيين عن أسلوب الاقتضاب

لقد كثر أسلوب الاقتضاب في الشعر والنثر، وبالتالي نجدهم تكلموا عنه في فنون وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) .

أ - نجد في مقدمة الكلام عن البلاغة وتعريفها تحدثوا عن معنى الاقتضاب بالاختصار؛ فنقلوا قول ابن الرومي في تعريف البلاغة؛ فقالوا: "وقال ابن الرومي: البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة عند الإطالة"(١)، ...

=

تقول التي من بيتها خف مركبي عزيز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى في جريهن عبير

فهذه القصيدة قالها أبو نواس في مدح الخصيب بن عبد الحميد أمير مصر، وقد نسج التخلص الحسن من المقدمة إلى الموضوع في حوار لبق بينه وبين ابنته، وكان ذكر هذه البنية مما أكسب الحوار شجوا شعريا رفيعا؛ لأنها تريد أن تكفه عن الرحلة البعيدة، وتقول له: أما دون مصر للغنى متطلب، والحال أن دموعا تبتدرها تجري فيجري إثرهن عبير، أي اختلط دمعها بعبيرها، وهذه صورة شعرية حسنة وشجية، ثم يقول لها بذكاء الشعراء:

ذريني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الخصيب أمير.

فيمنيها الأماني ويداعبها من حيث هي أنثى بين أتراب ينظرن إليها ويحسدنها على ما هي فيه من ثروة وهكذا يجفف دموعها، ويرشد إلى شدة تماسكها به بقوله: " ذريني"، وكأنها قابضة عليه....

وفي هذا الإطار الرفيع ينتقل من حيث لا ندري أنه ينتقل، وتتشابك أطراف الكلام من حيث لا ندري أنها تتشابك، ويتألف المختلف من حيث لا نشعر أنه مختلف. يراجع: حسن الابتداء والخروج والانتهاء وعلاقة ذلك بوحدة القصيدة، د/ عبد الباري طه سعيد، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الحادي عشر، صـ ١٦٧.

(١) ينظر: البديع في البديع، أبو العباس، لابن المعتز، صـ١١، و الحيوان، للجاحظ، ١/ ٢٩.

ثم قال البحتري: " خير الكلام ما قلَّ وجلَّ ودلَّ ولم يمل"[١].

قال أبو هلال العسكري موضحا تعريف ابن الرومي: " الاقتضاب: أخذ القليل من الكثير؛ وأصله من قولهم: اقتضبت الغصن إذا قطعته من شجرته، وفيه معنى السرعة أيضا؛ فيقول: البلاغة إجادة في إسراع، واقتصار على كفاية.

فمن البديهة الحسنة ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا إبراهيم بن محمد الشطنى قال: حدثنى أحمد بن يحيى ثعلب قال: دَخَلَ المَأْمُوْنُ دِيوَانَ الخَرَاجِ، فَرَأَى غُلاَمًا جَمِيْلاً، عَلَى أُذُنِهِ قَلَمٌ، فَأَعْجَبَهُ جَمَالُهُ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: النَّاشيء فِي دَوْلَتِكَ، وَخِرِّيجُ أَدَبِكَ، وَالمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، حَسَنُ بنُ رَجَاءَ. فَقَالَ: يَا غُلاَمُ! بِالإِحْسَانِ فِي البَدِيْهَةِ تَفَاضَلَتِ العُقُوْلُ. ثُمَّ أَمَرَ بِرَفْعِ رُتْبَتِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِمائَةِ أَلفٍ..[٢].

ثم قال: "ومن الاقتضاب الجيد: ما أخبرنا به أبو أحمد قال: أخبرنى أبو أحمد الواذارى عن شيخ له قال: قال أبو حاتم: سمعت أبا عبيدة يقول: استفتحت غلامين في الصبا، فزكنت منهما بلوغ الغاية، فجاءا كما زكنت: بلغنى أن النظام يتعاطى علم الكلام فمرّ وهو غلام على حمار يطير به، فقلت له: يا غلام؛ ما عيب الزّجاج؟ فالتفت إلىّ وقال: يسرع إليه الكسر، ولا يقبل الجبر"[٣].

ب – وفي علم البيان نجد أن ابن الأثير تحدث عن أصناف علم البيان وانقساماتها، وذكر بابين: الباب الأول في الصناعة المعنوية، وينقسم إلى تسعة وعشرين نوعاً، ثم قال: " وإنما قدمنا ذكر المعاني على الألفاظ؛ لأن المعاني هي التي تقرر أولاً في النفس وترتب في القلوب، ثم يطلب لها

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور صـ ٨٣.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٢٨٠، والصناعتين، أبو هلال العسكري، صـ ٣٩، ٤٠.

(٣) الصناعتين، أبو هلال العسكري، صـ ٣٩، ٤٠.

بعد ذلك ألفاظ تعرب عنها، وتدل عليها ولأن المعاني أشرف من الألفاظ وأعلى محلاً، فاعرف ذلك " ذكر ذلك في كتابه: " الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور"(١)، ثم ذكر النوع الثالث عشر من هذا الباب، وهو "في التخلص والاقتضاب"؛ فقال: "ولهذا النوع من الكلام، محل كريم، وموقع لطيف، فأما التخلص، فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر، وجعل الأول سبيًا إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض، من غير أن يقطع المؤلف كلامه، ويستأنف كلامًا آخر، بل يكون جميع كلامه، كأنما أفرغ إفراغًا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر، وقوه تصرفه، وطول باعه، واتساع قدرته، من أجل أن الشاعر يضيق عليه نطاق الكلام، ويكون متبعًا للوزن والقافية، فلا توافيه الألفاظ على حسب إرادته، ولا تتزن له، وأما الناثر فإنه مطلق العنان، يمضي حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر، وأما الاقتضاب فهو ضد التخلص، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلامًا آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول، ولا تلفيق بينه وبينه"(٢)، وتحدث بنفس الكلام أو قريب منه في المثل السائر (٣).

ونجد يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفي: ٧٤٥هـ) أفرد له فصلا كاملا مع التخلص تحت باب أسماه: "في مراعاة أحوال التأليف وبيان ظهور المعانى المركبة"؛ قال: الفصل السادس في ذكر التخلص والاقتضاب، وهما واديان من أودية البلاغة، ومن حكمهما يظهر فضل الناظم والناثر، وكل واحد منهما يرد في منثور الكلام

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور صـ ٨٣.

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور صـ ١٨١، ١٨٢.

(٣) المثل السائر، ٣/ ١٢١، وما بعدها.

ومنظومه، لأن معناهما حاصل فيهما، ثم تحدث عن التخلص باستفاضة، وذكر له أمثلة عديدة في القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المطهرة، وأشعار الشعراء، ثم تحدث عن الاقتضاب، لكن ليس باستفاضة كالتخلص؛ فضرب أمثلة وشواهد قليلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومن أشعار الشعراء[١].

ثم كان سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي الذي تكلم عن الاقتضاب في خاتمة كتابه المطول، وتوالت الشروح بعد ذلك للمطول.

جـ – وفي علم البديع أطلقوا عليه مسمى: " تجنيس الاشتقاق"؛ قال شهاب الدين النويري – معددا أنواع التجنيس[٢] –: ومنه تجنيس الاشتقاق، ويسمّى الاقتضاب أيضا، ومنهم من عدّه أصلا برأسه، ومنهم من عدّه أصلا في التجنيس – وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ"[٣]، وقوله تعالى: "يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ"[٤]، وقوله تعالى: "فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ"[٥]، وقول النبي ﷺ: «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها»[٦]

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ١١٩، ١٧٣، ١٨٣ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفي: ٧٣٣هـ)، ٧/ ٩٥، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٨٩.

(٦) رواه ابن عدي في "الكامل" ٧/ ١٦ من حديث السيدة عائشة، ولفظه: "لَا يَنْبَغِي لِذِي الوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ وَجِيهًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ"، وقال ابن عدي: (عبد الجبار بن ورد وَهو عندي لا بأس به يكتب حديثه)، =

وقوله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة»(١) ومن النظم قول أبى تمّام:

عممت الخلق بالنّعماء حتى غدا الثقلان منها مثقلين

وأشار إليه الإمام الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، عندما تحدثا عن الجناس؛ ذكروا تجنيس الاشتقاق، ومسماه الاقتضاب؛ قال الزركشي - بعد حديثه عن التجنيس-: " يَقْرُبُ مِنْهُ الِاقْتِضَابُ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَاتُ يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ فِي اللُّغَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ"(٢)، وقوله: "يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ"(٣)، وقوله: "فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ"(٤).

وقال السيوطي: " وَالتَّجْنِيسُ: أَنْ يَتَّفِقَ اللَّفْظُ وَيَخْتَلِفَ الْمَعْنَى وَلَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا حَقِيقَةً وَالْآخِرُ مَجَازًا، بل يكونان حَقِيقَتَيْنِ، وَزَمَانُ الْقِيَامَةِ وَإِنْ طَالَ لَكِنَّهُ عِنْدَ اللهِ فِي حُكْمِ السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فَإِطْلَاقُ السَّاعَةِ عَلَى القيام مَجَازٌ وَعَلَى الْآخِرَةِ حَقِيقَةٌ وَبِذَلِكَ يَخْرُجُ الْكَلَامُ عَنِ التَّجْنِيسِ كَمَا لَوْ قُلْتُ: " رَكِبْتُ حِمَارًا وَلَقِيتُ حِمَارًا" تَعْنِي بَلِيدًا.

=

وروى أحمد ٢/ ٢٨٩، ٣٦٥، ١٤/ ٣٨٧، وقال الشيخ أحمد شاكر: " إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابن عجلان -وهو محمد- فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق قريب من الثقة"، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣١٣)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٢٨١)، وفي "الغيبة والنميمة" (١٤٥)، والقضاعي في "مسند الشهاب" ٢/ ٥٣ (٨٦٩)، والبيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٤٦، وفي "الشعب" ٤/ ٢٢٩ (٤٨٨٠) من حديث أبي هريرة: "مَا يَنْبَغِي لِذِي الوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا عِنْدَ اللهِ"، ورواه البزار في "مسنده" ١٤/ ٣٨٦ (٨١١٠) .

(١) متفق عليه. صحيح البخاري، ٣/ ١٢٩ (ح ٢٤٤٧)، كِتَاب: المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ: الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وصحيح مسلم، ٤/ ١٩٩٦ (ح ٢٥٧٨)، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٤) البرهان، للزركشي، ٣/ ٤٥١، والآية رقم ٨٩ من سورة الواقعة.

ثم عدد التجنيس؛ فقال: "وَمِنْهَا تَجْنِيسُ الِاشْتِقَاقِ: بِأَنْ يَجْتَمِعَا فِي أَصْلِ الِاشْتِقَاقِ وَيُسَمَّى الْمُقْتَضَبَ نَحْوُ: "فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ"، و "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ"[(١)]، و"وَجَّهْتُ وَجْهِيَ""[(٢)].

(١) سورة الروم، الآية: ٤٣.

(٢) الإتقان، للسيوطي، ٣/ ٣١٠، ٣١٢.

المبحث الأول

تعريف أسلوب الاقتضاب والعلاقة بينه وبين حسن التخلص

جرت عادة الكتّاب من أهل البلاغة والنقاد – في الغالب – أن يتحدثوا عن أسلوب الاقتضاب عندما يتحدثون عن بلاغة التخلص، أو حسن التخلص" فقد عني البلاغيون والنقاد بتبيان المواطن التي يجمل بالأديب – ولا سيما الشاعر – أن يبالغ في تجويدها وصقلها ومنحها مزيدا من اعتنائه، ومن تلك المواطن بل من أولها وأعلاها فاتحة القول وخاتمته، ومعقد الإزار منه – إن صح التعبير – ونعني به ما يسمى بحسن الخروج أو حسن التخلص"[(١)]، نبه على هذه المواضع الإمام التفتازاني في خاتمة كتابه المطول؛ حيث قال: "ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامه؛ حتى يكون أعذب لفظا، وأحسن سبكا، وأصحّ معنى؛ أحدها: الابتداء، وأحسنه ما يناسب المقصود، ويسمى: براعة الاستهلال وثانيها: التخلّص ممّا شيب الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود، مع رعاية الملاءمة بينهما؛ وقد ينتقل منه إلى ما لا يلائمه، ويسمّى: الاقتضاب، وثالثها: الانتهاء"[(٢)].

فما الاقتضاب وما حسن التخلص وما العلاقة بينهما؟

أولاً: تعريف الاقتضاب.

أ – تعريف الاقتضاب في اللغة:

الاقتضاب: افتعال من مادة قضب، والقضب في الأصل بمعنى: القطع؛ فالاقتضاب: الاقتطاع؛ قال ابن فارس: " (قَضَبَ) الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الشَّيْءِ؛ يُقَالُ: قَضَبْتُ

---

(١) حسن الابتداء والخروج والانتهاء وعلاقة ذلك بوحدة القصيدة، د/ عبد الباري طه سعيد، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الحادي عشر، صـ ١٥٣.

(٢) كتاب المطول، للتفتازاني، وبهامشه حاشية السيد مير الشريف، صـ ٤٧٧: ٤٨٠ بتصرف.

الشَّيْءَ قَضْبًا؛ أَيْ: قَطَعْتهُ، وَقَضَبْتُ الْكَرْمَ: قَطَعْتُ أَغْصَانَهُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، وَسَيْفٌ قَاضِبٌ وَقَضِيبٌ: قَطَّاعٌ، وَرَجُلٌ قَضَّابَةٌ: قَطَّاعٌ لِلْأُمُورِ مُقْتَدِرٌ عَلَيْهَا، وَمِنَ الْبَابِ: اقْتَضَبَ فُلَانٌ الْحَدِيثَ، إِذَا ارْتَجَلَهُ، وَكَأَنَّهُ كَلَامٌ اقْتَطَعَهُ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا فِكْرٍ، وَيُسْتَعَارُ هَذَا فَيُقَالُ: نَاقَةٌ قَضِيبٌ، إِذَا رُكِبَتْ قَبْلَ أَنْ تُرَاضَ[١]، وسمي المُقْتَضَبُ من الشِّعْرِ، وَهُوَ: فاعِلاتُ مُفْتَعِلُنْ مَرَّتَانِ، وإِنّما سُمِّيَ مُقْتَضَباً؛ لأنه اقْتُضِبَ مفعولات وَهُوَ الجُزْءُ الثّالِثُ من الْبَيْت، أَي: قُطِعَ، وَهُوَ البَحْرُ الثّالِثَ عَشَرَ من العَرُوضِ[٢].

ومن معاني الاقتضاب: الارتجال؛ قال ابن منظور: " واقْتِضابُ الْكَلَامِ: ارْتجالُه؛ يُقَالُ: هَذَا شعرٌ مُقْتَضَبٌ، وَكِتَابٌ مُقْتَضَبٌ، واقْتَضَبْتُ الحديثَ والشِّعْرَ: تَكلمْتُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تهيئةٍ أَو إِعْدادٍ لَهُ[٣]، ومنه كتاب المقتضب في النحو لمحمد بن يزيد المبرّد البصري[٤]، وعده الإمام الزمخشري من المجاز؛ فقال: " ومن المجاز: اقتضب الكلام: ارتجله"[٥].

والارتجال هو اقتطاع – أيضًا–؛ قال ابن فارس: "وَمِنَ الْبَابِ: اقْتَضَبَ فُلَانٌ الْحَدِيثَ، إِذَا ارْتَجَلَهُ، وَكَأَنَّهُ كَلَامٌ اقْتَطَعَهُ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا فِكْرٍ، وَيُسْتَعَارُ هَذَا فَيُقَالُ: نَاقَةٌ قَضِيبٌ، إِذَا رُكِبَتْ قَبْلَ أَنْ تُرَاضَ[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٠٠، كِتَابُ الْقَافِ: بَابُ الْقَافِ وَالضَّادِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة قضب، ٤/ ٥٤.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١/ ٦٨٠، حرف: الباء، فصل: القاف، مادة (قضب) .

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفي: ٥٧٣هـ)، ٨/ ٥٥٣٥- باب القاف والضاد وما بعدهما، (الأفعال- المزيد- الاقتضاب) .

(٥) أساس البلاغة، للزمخشري، ٢/ ٨٥، كتاب: القاف، مادة (ق ض ض) .

(٦) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٠٠، كِتَابُ الْقَافِ: بَابُ الْقَافِ وَالضَّادِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا.

ومن معاني الاقتضاب: الإيجاز، والتلخيص، والاختصار؛ يقال: " اقتضب: أوجز، لخص، اختصر"[(١)]، قلت: والإيجاز والاختصار والتلخيص هو اقتطاع؛ لأنه أخذ القليل من الكثير، قال العسكري: «الاقتضاب أخذ القليل من الكثير، و أصله من قولهم: «اقتضبت الغصن» إذا قطعته من شجرته، و فيه معنى السرعة أيضا»[(٢)].

ولذلك قال الإمام الطيبي: " (مقتضبة): أي: مرتجلة مقتطعة غير متصلة بما قبلها، ومن المجاز: اقتضب الكلام: ارتجله، وكان يحدثنا فلان فجاء زيد فاقتضب حديثه، أي: انتزعه واقتطعه"[(٣)].

فمعاني الاقتضاب في اللغة تدور حول الارتجال، والاقتطاع، والإيجاز والاختصار.

ب – تعريف الاقتضاب في الاصطلاح:

أطلق الاقتضاب في اصطلاح البلاغيين على عدة تعريفات، وهي قريبة من بعضها[(٤)]، وهي:

١ – القطع والاستئناف؛ قال ابن الأثير: "وأما الاقتضاب فإنه ضد التخلص، وذاك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول[(٥)]؛ فنجد الشاعر قطع كلامه فجأة، واستأنف كلاما جديدا على طريقة

---

(١) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، ٨/ ٣٠٠.

(٢) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، صـ ٣٩.

(٣) حاشية الطيبي على الكشاف، ٨/ ٧٤.

(٤) هناك تعريف للاقتضاب بمعنى الاشتقاق، أو يطلق على تجنيس الاشتقاق؛ تكلمت عنه في التمهيد.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣/ ١٢١.

الاقتضاب.

٢ – الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة؛ يقول السعد في المطول: "وقد ينتقل منه أي مما شبب الكلام به إلى ما لا يلائمه، ويسمّى: الاقتضاب، وهو مذهب العرب الجاهلية ومن يليهم من المخضرمين"[١]، قال بهاء الدين السبكي في معنى التشبيب: " أن يمهد قبل الشروع في المقصود، ما يمهده من التغزل قبل المدح، أو التشبيت على الخطاب الهائل تلطفا، أو التنبيه على السماع للخطاب العظيم وغير ذلك"[٢]، وقال التنوخي: " وأما الاقتضاب: فالانتقال من كلام إلى غيره بكلمة تدل على الانتقال من غير أن يعلق بعض الكلام ببعض"[٣].

ولذلك عرفه المحشون على التفاسير قريبا من هذه التعريف؛ فقال الطيبي في حاشيته على الكشاف: والاقتضاب عرفًا: الخروج من كلام إلى آخر لا علاقة بينهما، ويقابله التخلص، وهو الخروج إلى آخر برابطة مناسبة"[٤]، وخصص الإمام الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي الأغراض بعينها؛ فقال: ويطلق في اصطلاح المعاني على الانتقال من الغزل إلى المدح من غير تخلص[٥].

---

(١) كتاب المطول، للتفتازاني، وبهامشه حاشية السيد مير الشريف، صـ ٤٨٠.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد ال كافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفي: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ٢/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٣) الأقصى القريب في علم البيان، للإمام زين الدين أبي عبدالله محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، أحد أعيان السابعة للهجرة النبوية، صـ ٨٤، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط: الأولى، ١٣٢٧هـ.

(٤) حاشية الطيبي، ، ٨/ ٧٤، وينظر: القونوي، ٤/ ٦٤٥.

(٥) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفي: ١٠٦٩هـ)، ٥/ ٩٧.

فمن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن الاقتضاب: خروج وانتقال من كلام لآخر، أو من غرض لغيره، لا يكون بينهما علاقة ظاهرة، تحتاج إلى إمعان نظر، وتدقيق، واجتهاد، حتى يستطيع السامع أو القارئ أن يربط بينهما، لكن الكلام مستساغ بل في ذروة الفصاحة؛ لأنه طريقة الشعراء القدامى، والذين نزل القرآن الكريم بلغتهم.

ثانيًا: تعريف حسن التخلص:

أ – التعريف اللغوي:

حسن التخلص مركب إضافي من كلمتي: " حسن"، و" التخلص"، والْحُسْنُ ضِدُّ الْقُبْحِ، وهو الجمال والملاحة[(١)]، والتخلص خروج من كلام إلى آخر بطريقة تلائم بين السابق واللاحق[(٢)].

فكأن حسن التخلص خروج من كلام لآخر بطريقة فيها جمال وملاحة ولطافة، وهذا الجمال ناشيء من التلاؤم بين سابق الكلام ولاحقه، بحيث لا يستشعر المستمع بانقطاع في الكلام.

ب – التعريف الاصطلاحي:

يعرف البلاغيون وغيرهم من العلماء حسن التخلص بأنه:

١ – أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرفه"[(٣)].

٢ – هو امتزاج آخر ما يقدم الشاعر على المدح من نسب، أو فخر، أو وصف، أو أدب، أو

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢/ ٥٧، كتاب: الحاء، بَابُ: الْحَاءِ وَالسِّينِ وَمَا يَثْلُهُمَا، مادة: (حَسُنَ)، ومعجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، ٢/ ٩١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (خ ل ص)، ١/ ٦٧٩.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (المتوفي: ٦٣٧هـ)، ٣/ ١٢١.

زهد، أو مجون، أو غير ذلك بأول بيت من المدح، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين، وقد يقع في بيت واحد[١].

٣ – هو أن يستطرد الشاعر المتمكن، من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه، بتخلص سهل، يختلس اختلاسًا رشيقًا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، ولا يشترط أن يتعين المتخلص منه، بل يجري ذلك في أي معنى كان، فإن الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل، أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال، أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدح أو هجو أو وصف في حرب، أو غير ذلك، ولكن الأحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل إلى المدح[٢].

هذه التعريفات السابقة تدور حول حسن الانتقال من كلام إلى كلام ببراعة وعدم تكلف، سواء أكان الكلام شعرا أم نثرا، لكنه شاع وانتشر في الأشعار، ويتم ذلك بدون قطع واستئناف – كما في التعريف الأول–، ويكون متجاورا، أو غير متجاور – كما في التعريف الثاني، وأحسنه – كما في التعريف الثالث – الانتقال من الغزل إلى المدح؛ لأن القصائد – وخاصة الجاهلية – كانت تبدأ غالبا بالغزل، وذكر الديار والأطلال، ثم تنتقل إلى الغرض الرئيس من القصيدة، وربما تتنوع الأغراض؛ لكن الشاعر يجعلك تتنقل بينها بدون انقطاع محسوس

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفي: ٦٥٤هـ)، صـ ٤٣٣.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفي: ٨٣٧هـ)، ١/ ٣٢٩.

ثالثًا: العلاقة بين الاقتضاب و حسن التخلص:

من خلال ما سبق وغيره من كلام العلماء يتضح لنا العلاقة بين الاقتضاب وحسن التخلص فيما يلي:

أ – أوجه الاتفاق:

١ – يتفقان في أن كلا منهما مرحلة متوسطة بين الابتداء، والانتهاء، أي ما بين حسن الابتداء أو براعة الاستهلال، وبين براعة المقطع أو براعة الانتهاء؛ فهما معقد الإزار – كما وضح السعد التفتازاني وغيره من العلماء – الذي يتوسط بين موضعين من المواضع التي ينبغي أن يتأنق فيها المتكلم سواء أكان شاعرا أم ناثرا.

٢ – يتفقان في التقسيم الثنائي؛ بمعنى أننا نجد في حسن التخلص منه ما هو ظاهر جلي، ومنه ما لا تكاد تتفهمه إلا بعد فكر وروية، وكذلك الاقتضاب منه ما هو قريب من التخلص، ومنه ما يكون القطع فيه على نحو ترى به المعنيين متباعدين مختلفين غاية التباعد؛ فـــ"علاقات المطالع بالمقاصد في الشعر الجاهلي واضحة ظاهرة إذا كان الشاعر ينتهج طريقة حسن التخلص، ويتقن فن الخروج، ويجيد ربط المعاني المتباعدة، ويحدث بينها علاقات لفظية ظاهرة، أما إذا كان الشاعر يؤثر طريقة الاقتضاب، ويدع المعنى، ويسلك غيره دون أن يمهد له كانت تلك العلاقات خفية تحتاج من يبحث عنها بتؤدة وصبر، ثم إن حسن التخلص منه ما هو ظاهر جلي، ومنه ما لا تكاد تتفهمه إلا بعد فكر وروية، وكذلك الاقتضاب منه ما هو قريب من التخلص، ومنه ما يكون القطع فيه على نحو ترى به المعنيين متباعدين مختلفين غاية التباعد، والاختلاف، والعلاقة بينهما خفية غاية الخفاء بحيث تقتضي منك لإدراكها كدا، ووقتا مقتطعا من التأمل، والصبر، ومتابعة همس المعاني في ثنايا الكلام بتركيز، وانقطاع، وشأن الكلام الجيد أن يكون محركا للعقل، مثيرا للفكر، موقظا للانتباه، تعلم العقول قدره، وتعرف النفوس شأنه؛ فلا تقابله إلا بمزيد من التأمل، ولا تستقبله إلا بمزيد من الإصغاء، ومن هنا كان الكلام الجيد سببا في بناء الفكر، وإرساء قواعد المران

على الفهم، والاستيعاب، وتتزايد الملكات على الذوق والتأمل"[١].

قال الدكتور عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة عن حسن التخلص: "ولم يكن هذا الفنّ متّبعًا عند شعراء وخطباء العرب القدماء، بل كانوا ينتقلون من الْغَزَل أو وصف أرضهم وأنعامهم، أو الحديث عن قومهم أو بطولاتهم أو غير ذلك، إلى المدح أو الاستجداء أو غير ذلك مما هو مقصودُهم الأساسي انتقالاً مفاجئًا، أو يفصلون بنحو قولهم: "دعْ ذا" و "عَدِّ عنْ ذا" أو بغير ذلك ممّا يُشْعِرُ بانتهاء كلام سابق وابتداء كلامٍ جديد في موضوعٍ آخر، ويُسمَّى هذا "اقتضابًا". ثم قال: "ومن الاقتضاب المحمود الْفَصْلُ بعبارة "أمّا بَعْد" بعْدَ مقدّمة الحمد والثناء على الله – ﷻ –، والصلاة والسلام على نبيّه محمد ﷺ، ومن الاقتضاب البديع الفصل بين قِسْمٍ وقِسْمٍ آخَرَ باسم الاشارة "هذا" أو "هذا ذكْرٌ" أو نحوهما ممّا يُشْعِر بالانتهاء من الكلام على الْقِسْم السابق للْبَدْءِ بالكلام على قِسْمٍ آخَر من أقسامِ موضوعٍ كُلّي ذي أقسامٍ متعدّدة"[٢].

وقد أخذ الدكتور حبنكة النوعين الآخرين الاقتضاب المحمود والبديع من كلام ابن الأثير؛ حيث قال: "ومن ذلك ما يقرب من التخلص، وهو فصل الخطاب، والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد؛ لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله: أما بعد، ومن الفصل الذي هو أحسن من الوصل لفظه هذا، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره، كقوله تعالى: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، إِنَّا

---

(١) الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، بحث منشور للدكتور أحمد حسن رمضان حسن، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، صـ١٩٠٥، العدد الرابع والثلاثون، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م.

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفي: ١٤٢٥هـ)، ٢/ ٥٦١.

أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ، وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ، هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ"[1].

ألا ترى إلى ما ذكر قبل "هذا"؟ ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره، وهو ذكر الجنة وأهلها، فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألطف موقعا من التخلص"[2].

ب – أوجه الاختلاف:

١ – يختلفان في المناسبة أو عدمها؛ يقول ابن رشيق عن طريقة العرب حين كانت تتخلص من غرض لآخر: "كانت العرب تقول عند فراغها من نعت الإبل وذكر القفار، وما هم بسبيله "دع ذا" و"عد عن ذا" ويأخذون فيما يريدون، أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه" ثم يقول: "وإذا لم يكن التخلص متصلا بما قبله بل انتقل الشاعر من معنى إلى آخر من غير تعلق بينهما سمى اقتضابا وانقطاعا كأن الشاعر استهل كلاما آخر"[3].

نخلص من هذا أن الفرق بين التخلص (أو حسن التخلص) والاقتضاب هو المناسبة أو عدمها؛ ففي التخلص: يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا[4]؛ أما في الاقتضاب فيبني المتكلم كلامه على

---

(١) سورة ص، الآيات: ٤٥: ٥٠.

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفي: ١٤٢٥هـ)، ٢/ ٥٦١.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفي: ٤٦٣ هـ)، ١/ ٢٣٩.

(٤) المثل السائر، لابن الأثير، ٣/ ١٢١.

"قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره، بلا علاقة ظاهرة تكون بينه وبينه"[١].

وقال السيوطي: التخليص: أَدَاء الْكَلَام من نسيب، أَو غَيره إِلَى الْمَقْصُود مَعَ رِعَايَة الملاءمة بَينهمَا، والاقْتِضَاب: أَدَاء الْكَلَام من نسيب، أَو غَيره إِلَى الْمَقْصُود مَعَ عدم الملاءمة بَينهمَا[٢].

٢ – يختلفان في نقطة إنهاء الحديث عن غرض بعينه "فحسن التخلص في بعض الأحوال سبيل من يريد إغلاق باب الغرض الأول، أما الاقتضاب فإن المتكلم شاعرا كان أم ناثرا؛ إذ يبرح الغرض لغيره فإنه لا يغلقه، بل يتركه مفتوحًا[٣]، وهذا الاختلاف غالبي، يعني: ليس دائما – كما سيتضح عند الصور التطبيقية بمشيئة الله–.

(١) المثل السائر، لابن الأثير، ٣/ ١٣٩.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي، صـ ١٠٩.

(٣) "حسن التخلص" ودلائل التماسك في الشعر الجاهلي، دراسة في مسالك تأليف المختلف، د/ أحمد حسن رمضان، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، صـ ٤٢٦، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية، ٢٠١٨م.

المبحث الثاني

الاقتضاب وعلم مناسبات آيات القرآن الكريم

الاقتضاب مسلك تعبيري دقيق، وباب من أبواب البيان الأول، له بلاغته الخفية التي تحتاج من الصبر، والبصر، والتأمل ما يجلي خفاءها، ويكشف أسرارها.

وبلاغة الاقتضاب ليست بالبلاغة الظاهرة القريبة، بل هي ضرب من ضروب البلاغة الخفية التي تحتاج من الدقة، وحسن التأمل، وبراعة الإصغاء لهمس المعاني، ومعايشة العلاقات، والروابط الخفية، واقتناص الفكر السانحة، والومضات التي تتلمح في طيات التعبير أضعاف ما تقتضيه البلاغة القريبة الظاهرة، ولذا فقد كثر هذا الضرب البياني، بل شاع في القرآن الكريم على نحو من البراعة لا يحاكى، ولا يناظر[(١)].

والمناسبات مفردها: المناسبة، والمناسبة في اللغة: الْمُشَاكَلَةُ وَالْمُقَارَبَةُ؛ قال ابن منظور في لسان العرب: والنَّسِيبُ المُناسِبُ والجمع. نُسَباءُ وأَنْسِباء، وفلانٌ يناسِبُ فلانًا فهو نَسِيبه أَي قَريبه، وقال أبو بكر الرازي في مختار الصحاح: فُلانٌ يُنَاسب فلانًا. فهو نَسِيبه أي قريبُه، وبَيْنَهما مُنَاسَبة أي مُشَاكَلة[(٢)].

قال الزركشي: " وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنَاسَبَةَ عِلْمٌ شَرِيفٌ تُحْزَرُ بِهِ الْعُقُولُ وَيُعْرَفُ بِهِ قَدْرُ الْقَائِلِ فِيمَا يَقُولُ وَالْمُنَاسَبَةُ فِي اللُّغَةِ الْمُقَارَبَةُ وَفُلَانٌ يُنَاسِبُ فُلَانًا أَيْ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيُشَاكِلُهُ وَمِنْهُ النَّسِيبُ الَّذِي هُوَ الْقَرِيبُ الْمُتَّصِلُ كَالْأَخَوَيْنِ وَابْنِ الْعَمِّ وَنَحْوِهِ"[(٣)].

---

(١) الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، صـ ١٨٩٨.

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور: (٧٥٦/١)، حرف: الباء، فصل: النون، مادة (نسب)، ومختار الصحاح، صـ ٣٠٩، باب: الباء، مادة (ن س ب) .

(٣) البرهان، ١/ ٣٥.

وعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال[(١)].

فعلم المناسبات – كما يتضح من كلام البقاعي والزركشي والسيوطي: علمٌ تعرَف منه عِللُ ترتيب أجزاء القرآن، أو وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة من أنواع الارتباطات كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، وهناك مناسبات بين السور، وبين الآيات[(٢)].

والحديث عن الاقتضاب عامة، أو الاقتضاب الذي يقرب من التخلص يكون في المناسبات بين الآيات.

والمناسبات بين الآيات تدلنا على إعجاز القرآن الكريم؛ قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: "وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي لَطَائِفِ نَظْمِ هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي بَدَائِعِ تَرْتِيبِهَا عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنَّهُ مُعْجِزٌ بِحَسْبِ فَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ وَشَرَفِ مَعَانِيهِ فَهُوَ أَيْضًا بِسَبَبِ تَرْتِيبِهِ وَنَظْمِ آيَاتِهِ"[(٣)].

وقد وضع العلماء خطوطا عريضة – أولًا – لما يظهر أنه يندرج تحته عموم المناسبات التي يمكن أن تكون موجودة بين الآيات القرآنية؛ قال ولي الدين الملوي: "وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُبْحَثَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا أَوْ مُسْتَقِلَّةً ثُمَّ الْمُسْتَقِلَّةُ مَا وَجْهُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا؟

---

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفي: ٨٨٥هـ)، ١/ ١٤٢.

(٢) ينظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ١/ ١٤٢، وما بعدها، والبرهان، ١/ ٣٥، وما بعدها، والإتقان، ٣/ ٣٦٩، وما بعدها.

(٣) تفسير الرازي، ٧/ ١٠٦.

فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ جَمٌّ"[1].

* واستخلص العلماء بعضًا من أنواع التناسب وعدوا منها ما يلي:

أولاً: وضوح المناسبة والارتباط بين الآيات:

قال الزركشي: " ذِكْرُ الْآيَةِ بَعْدَ الْأُخْرَى إِمَّا أَنْ يَظْهَرَ الِارْتِبَاطُ بَيْنَهُمَا لِتَعَلُّقِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَعَدَمِ تَمَامِهِ بِالْأُولَى فَوَاضِحٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الثَّانِيَةُ لِلْأُولَى عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيدِ وَالتَّفْسِيرِ أَوِ الِاعْتِرَاضِ وَالتَّشْدِيدِ وَهَذَا الْقِسْمُ لَا كَلَامَ فِيهِ"[2]؛ يعني أن تكون العلاقة بين الآيات اللاحقة والسابقة في غاية الوضوح لا تحتاج إلى عرض أو بحث؛ لما بين الآيات من الارتباط الواضح والتعلق الظاهر، كأن تكون الآيات بمثابة التأكيد أو البيان والتفسير، أو تتحدث في موضوع متحد فتتسلسل مفردات هذا الموضوع في الآيات، وغير ذلك.

ثانيًا: خفاء المناسبة وعدم وضوحها:

قال الزركشي: " وَإِمَّا أَلَّا يَظْهَرَ الِارْتِبَاطُ بَلْ يَظْهَرُ أَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٌ عَنِ الْأُخْرَى وَأَنَّهَا خِلَافُ النَّوْعِ الْمَبْدُوءِ بِهِ"[3]؛ بمعنى أنه لا يوجد ذلك التعلق الواضح أو الارتباط الظاهر لاختلاف موضوع كل آية عن موضوع التي تليها، وهنا يكون الإبداع في إظهار وجه الصلة والمناسبة، ومن ثم يظهر الاجتهاد الذي يحتاج إلى التعمق في التدبر والتأمل.

وذهب بعض العلماء إلى أنه ينبغي النظر في الآيات هل يوجد بين الجمل عطف أو لا يوجد؟ فإن وجد عطف فإنه لا بد من رابط يربط بين الجمل المعطوفة من تضاد أو تكامل أو غيرها؛

---

(١) ينظر: البرهان، ١/ ٣٧، والإتقان، ٣/ ٣٧٠، ومناهل العرفان، ١/ ٨٠.

(٢) البرهان، ١/ ٤٠.

(٣) البرهان، ١/ ٤٠.

فالعطف يظهر المناسبة، وضربوا لذلك مثالا بقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[(١)].

فالعطف أثبت جمعا بين السماء والأرض، وبين ما يلج وما يخرج، وبين ما يعرج، وما ينزل، وإن كانت كلها على سبيل التقابل، وذكروا أن فائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين[(٢)].

أما إذا لم يكن هناك عطف فالمسألة تحتاج إلى تدبر، وقد رصد العلماء المناسبات المعنوية التالية: التنظير، والتضاد، والاستطراد وحسن التخلص، وإثارة التنبيه لتنشيط السامع وتهيئته لكلام جديد، والتنظير، واعتراض الكلام الموصول للترغيب في أمر معين[(٣)].

والذي يعنينا من هذه الأغراض: حسن التخلص، وإثارة التنبيه لتنشيط السامع وتهيئته لكلام جديد؛ قال الإمام السيوطي: ".. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْطُوفَةً فَلَا بُدَّ مِنْ دِعَامَةٍ تُؤْذِنُ بِاتِّصَالِ الْكَلَامِ وَهِيَ قَرَائِنُ مَعْنَوِيَّةٌ تُؤْذِنُ بِالرَّبْطِ وَلَهُ أَسْبَابٌ[(٤)]، ثم ذكر التنظير[(٥)]، ...

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) ينظر: الإتقان، ١/ ٤٠، وعلوم القرآن، ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) ينظر الكلام التفصيلي والأمثلة والشواهد عن هذه المناسبات البرهان، ١/ ٤٦، وما بعدها، والإتقان، ٣/ ٣٧٢، وما بعدها.

(٤) الإتقان، ٣/ ٣٧٢ .

(٥) التنظير: إلحاق النظير بالنظير، وأتى بشاهد له من القرآن: قوله تعالى: "كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ" عَقِبَ قَوْلِهِ: "أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا"؛ ثم بين التنظير؛ فقال: فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَمْضِيَ لِأَمْرِهِ فِي الْغَنَائِمِ عَلَى كُرْهٍ مِنْ أَصْحَابِهِ كَمَا مَضَى لِأَمْرِهِ فِي خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِهِ لِطَلَبِ الْعِيرِ أَوْ لِلْقِتَالِ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَالْقَصْدُ أَنَّ كَرَاهَتَهُمْ لِمَا فَعَلَهُ مِنْ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ كَكَرَاهَتِهِمْ لِلْخُرُوجِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي =

الْمُضَادَّةُ[(١)]، والِاسْتِطْرَادُ[(٢)] ..ثم قال: وَيَقْرُبُ مِنَ الِاسْتِطْرَادِ حَتَّى لَا يَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ حُسْنُ التَّخَلُّصِ وَهُوَ أَنْ يَنْتَقِلَ مِمَّا ابْتُدِئَ بِهِ الْكَلَامُ إِلَى الْمَقْصُودِ عَلَى وَجْهٍ سَهْلٍ يَخْتَلِسُهُ اخْتِلَاسًا دَقِيقَ الْمَعْنَى بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ السَّامِعُ بِالِانْتِقَالِ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الثَّانِي لِشِدَّةِ الِالْتِئَامِ بَيْنَهُمَا[(٣)].

وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الْفَرْقُ بَيْنَ التَّخَلُّصِ وَالِاسْتِطْرَادِ أَنَّكَ فِي التَّخَلُّصِ تَرَكْتَ مَا كُنْتَ فِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى مَا تَخَلَّصْتَ إِلَيْهِ وَفِي الِاسْتِطْرَادِ تَمُرُّ بِذِكْرِ الْأَمْرِ الَّذِي اسْتَطْرَدْتَ إِلَيْهِ مُرُورًا كَالْبَرْقِ

=

الْخُرُوجِ الْخَيْرُ مِنَ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ وَعَزِّ الْإِسْلَامِ فَكَذَا يَكُونُ فِيمَا فَعَلَهُ فِي الْقِسْمَةِ فَلْيُطِيعُوا مَا أُمِرُوا بِهِ وَيَتْرُكُوا هَوَى أَنْفُسِهِمْ. الإتقان، ٣/ ٣٧٢ .

(١) المضادة أو التضاد: الجمع بين الأضداد في سياق واحد، وأتى بشاهد له من القرآن: قوله تعالى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الْآيَةَ فَإِنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ كَانَ حَدِيثًا عَنِ الْقُرْآنِ وَأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ الْهِدَايَةَ لِلْقَوْمِ الْمَوْصُوفِينَ بِالْإِيمَانِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ وَصْفَ الْمُؤْمِنِينَ عَقَّبَ بِحَدِيثِ الْكَافِرِينَ فَبَيْنَهُمَا جَامِعٌ وَهْمِيٌّ بِالتَّضَادِّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَحِكْمَتُهُ التَّشْوِيقُ وَالثُّبُوتُ عَلَى الْأَوَّلِ كَمَا قِيلَ: "وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ". الإتقان، ٣/ ٣٧٢.

(٢) الاستطراد بمعنى: التتابع في الكلام والاسترسال فيه حتى يخرج به عما كان مبتدئا به، للحديث عن غيره ثم يعود إليه مرة أخرى من غير أن يشعر السامع أو القارئ بالخروج ولا بالعودة لحسن الترتيب وجودة الكلام. وأتى بشاهد له من القرآن: قَوْلِهِ تَعَالَى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ" قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هَذِهِ الْآيَةُ وَارِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِطْرَادِ عَقِبَ ذِكْرِ بُدُوِّ السَّوْءَاتِ وَخَصْفِ الْوَرَقِ عَلَيْهِمَا إظهارا للمنة فيما خَلَقَ مِنَ اللِّبَاسِ وَلِمَا فِي الْعُرْيِ وَكَشْفِ الْعَوْرَةِ مِنَ الْمَهَانَةِ وَالْفَضِيحَةِ وَإِشْعَارًا بِأَنَّ السَّتْرَ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّقْوَى". الكشاف، ٢/ ٩٧، والإتقان، ، ٣/ ٣٧٣، و المختصر المفيد في علوم القرآن المجيد، ٢/ ٢٢٤.

(٣) الإتقان، ٣/ ٣٧٣.

الْخَاطِفِ ثُمَّ تَتْرُكُهُ وَتَعُودُ إِلَى مَا كُنْتَ فِيهِ كَأَنَّكَ لَمْ تَقْصِدْهُ وَإِنَّمَا عَرَضَ عُرُوضًا[١]

ثم قال السيوطي: "وَيَقْرُبُ مِنْ حُسْنِ التَّخَلُّصِ الِانْتِقَالُ مِنْ حَدِيثٍ إِلَى آخَرَ تَنْشِيطًا لِلسَّامِعِ مَفْصُولًا بِهَذَا كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ ص بَعْدَ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَوْعٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمَّا انْتَهَى ذِكْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّنْزِيلِ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ نَوْعًا آخَرَ وَهُوَ ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ قَالَ: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ فَذَكَرَ النَّارَ وَأَهْلَهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هَذَا فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنَ الْفَصْلِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَصْلِ وَهِيَ عَلَاقَةٌ أَكِيدَةٌ بَيْنَ الْخُرُوجِ مِنْ كَلَامٍ إِلَى آخَرَ[٢].

قلت: إن الإمام السيوطي ذكر أن الذي يقرب من حسن التخلص صورة الاقتضاب بهذا؛ الذي عده ابن الأثير وغيره من العلماء من الاقتضاب، وقال عنه بأنه من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره؛ لذلك يأتي السؤال الذي يطرح نفسه: هل في أسلوب القرآن اقتضاب؟

قال بعض العلماء: "أما الاقتضاب فلا يظهر خلاف في وروده في القرآن الكريم، وإنما الخلاف في ورود التخلص في القرآن، وحكى عن أبى العلاء محمد الغانمى أنه أنكر وروده في التنزيل، وزعم أن كتاب الله تعالى خال عنه، وهذا فاسد، فإن كتاب الله تعالى لا واد من أودية البلاغة إلا وهو آخذ منه بنصيب"[٣].

لذلك قال د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: وقد خالف فريق من الباحثين – بحسن نية

---

(١) الإتقان، ٣/ ٣٧٣.

(٢) الإتقان، ٣/ ٣٧٥.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ١٧٣.

وضعف إدراك – ما أجمع عليه السَّلف والخَلف فادعوا غير ذلك، وهم واهمون.

قال أبو العلاء بن غانم: " إن الْقُرْآنَ إِنَّمَا وَرَدَ عَلَى الِاقْتِضَابِ الَّذِي هُوَ طَرِيقَةُ الْعَرَبِ مِنَ الِانْتِقَالِ إِلَى غَيْرِ مُلَائِمٍ وأن ليس في القرآن شيء من حسن التخلص".

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: " الْمُنَاسَبَةُ عِلْمٌ حَسَنٌ، وَلَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي حُسْنِ ارْتِبَاطِ الْكَلَامِ أَنْ يَقَعَ فِي أَمْرٍ مُتَّحِدٍ مُرْتَبِطٍ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ؛ فَإِنْ وَقَعَ عَلَى أَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ لَمْ يُشْتَرَطْ فِيهِ ارْتِبَاطُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ. قَالَ: وَمَنْ رَبَطَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ بِمَا لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حَسَنُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَحْسَنِهِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أَحْكَامٍ مُخْتَلِفَةٍ وَلِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَتَأَتَّى رَبْطُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ"[(١)].

ثم وضح مبنى الشُّبهة؛ فقال: وقد بنى هؤلاء فكرتهم على ثلاثة اعتبارات:

أولها: ما في القرآن من تعدد الأغراض والمقاصد.

ثانيها: الامتداد الزمني والمكاني؛ حيث استغرق نزوله ثلاثًا وعشرين سنة في موطنين مختلفين لهما اعتبارات متعددة، وهما: مكة، والمدينة، وقد اختلفت الموضوعات التي عولجت في كل منهما عن الأخرى.

ثالثها: نزوله مفرقًا مُنَجَّمًا حسب المناسبات والدواعي، فسورة البقرة –مثلاً – استغرق نزولها تسع سنوات، وجمعت في آياتها أحداثًا كان الفارق الزمني بين وقوعها كبيراً"

ثم قال: "وقد وهم الغانمي والعز بن عبد السلام في ذلك وهمًا كبيراً، ولو أنهما لجأ إلى الفكر وأحسنا النظر بدراسة عقد المعاني في القرآن نفسه لرجعا عما قالاه، ولاستغفرا الله ربهما".

ثم رد على الشبهة؛ فقال: "وقد فنَّد المتأخرون شُبهات هذه الفكرة، وضربوا أمثلة كثيرة لجودة

---

(١) ينظر: البرهان، ١/ ٣٧. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ١/ ٣٩٩.

الربط بين المعاني في القرآن، من المواضع التي يظن المتعجل أن الربط معدوم بينها، من هؤلاء ضياء الدين بن الأثير في " المثل السائر "، والزركشي في " البرهان ". جاء في المثل السائر: " وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي ": إن كتاب الله خال من التخلص، وهذا قول فاسد، لأن حقيقة التخلص إنما هى الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه، والكلام الذي خرج إليه، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والتذكير والإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة إلى نبى مرسل ومَلك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان آخذ بعضها بركاب بعض "[1].

ورد بعض العلماء على الغانمي و الشيخ عز الدين بقوله: لا أوافقهما، وحجتى في ذلك أمران:

أما أولهما فما نراه من حسن التناسب وقوة الارتباط حقا بين الآى بعضها وبعض، محققة بذلك هدف القرآن كما تحدثنا، ولعل عز الدين ومن لفَّ لفه كان يرى التناسب يتم إذا جمعت آيات الأحكام مثلا[2] كلها في سورة واحدة أو عدة سور، وجمعت القصص كلها كذلك في سورة واحدة أو عدة سور، وجمعت حوادث التاريخ كلها في سورة واحدة أو عدة سور، وهكذا، وقد سبق أن بيّنا أن هذا النهج لا يحقق الهدف الذى يرمى إليه القرآن من الإرشاد والهداية، فليس القرآن كتاب قصص أو تاريخ، ولكنه كتاب دين، يرمى إلى التأثير في النفس، فهو يلقى العظة، مبيّنا ما في اتباعها من خير، وضاربا المثل من التاريخ على صدق ما ادعى، ومستشهدا بقصص الأولين وآثارهم، ومقنّنا من الأحكام ما فيه خير الإنسانية وكمالها، وكل ذلك في تسلسل واطراد وحسن

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ١/ ٤٠٠.

(٢) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفي: ١٣٨٤هـ)، صـ ١٨١.

اتساق، ترتبط المعانى بعضها ببعض، ويؤدى بعضها إلى بعض.

أولا نرى في هذا النهج القرآنى وسيلة لتكرير العظات والإنذار والتبشير في صور متعددة مرات عدة، وللتكرير كما قلنا أثره في تثبيت المعنى في النفس، وبلوغ العظة الهدف الذى ترمى إليه، ولن يكون للتكرير جماله إذا عمد القرآن إلى كل غرض على حدة فوضع آيات بعضها إلى جانب بعض.

وأما ثانيهما فتاريخى يعود إلى ترتيب الرسول للقرآن بأمر ربه، فقد كانت تنزل عليه الآيات فيأمر كتبة الوحى أن يضعوها في موضعها بين ما نزل من القرآن، في هذه السورة أو تلك، ويضع بعض ما نزل في مكة بين آيات السور المدنية، فلولا أن رابطا يجمع بين هذه الآيات بعضها وبعض، ما كان ثمة سبب يدفع إلى هذا الوضع ولا يقتضيه بل لرتبت الآى كما نزلت وما كان هناك داع إلى ترتيب ولا تبويب، أما والقرآن قد نزل للناس كافة، وللأجيال جميعها فقد اختار الله لكتابه خير ترتيب يحقق الهدف الذى له نزل الكتاب الحكيم[1]. يعني أنهم يتفقون على وقوع الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم، وخاصة الذي يقرب من التخلص، والذي يفيد التنبيه والاستثارة للذهن – كما سنوضح بمشيئة الله في بلاغة الاقتضاب –، وإن وجد خفاء مناسبة إنما هذا الخفاء ظاهريا؛ حتى يمعن القارئ النظر في وجه المناسبة؛ وهذا يزيد الكلام جمالا وبلاغة وروعة، وإنما كان قولهم للردود على من يمنع التخلص في أسلوب القرآن الكريم.

ومن هنا يأتي الجانب التطبيقي للاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم، ويكون الحديث عنه من خلال نماذج تطبيقية في المباحث التالية:

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفي: ١٣٨٤هـ)، صـ ١٨٢.

المبحث الثالث
الاقتضاب باسم الإشارة ﴿ذلك﴾

قال التنوخي في الأقصى القريب في علم البيان: " وأما الاقتضاب: فالانتقال من كلام إلى غيره بكلمة تدل على الانتقال من غير أن يعلق بعض الكلام ببعض، وهو غالبا بقولهم: أما بعد، وقولهم وبعد، وبكلمات كثيرة غيرهما، وقد سمي هذا فصل الخطاب، وفصل الخطاب حقيقة هو تخليص المعاني بعضها من بعض والإتيان بكل شيء في موضعه ومع ما يناسبه، ولعله خلاصة علم البيان، أما قولهم أما بعد، وبعد فغير محتاج إلى المثال لكثرته في ابتداآت الخطب والكتب المصنفة في العلوم المختلفة".

ثم بين صور الاقتضاب فقال: "ومما يقتضب به الكلام: لفظة هذا، ومنه لفظة كذلك، ومع كذلك هاهنا واو العطف، والفاء، وثم يعطف بها الجمل في هذا الباب[1]، ومن لم يعدهن فلكثرتهن في الكلام، وليس ذلك مما يخرجهن عن هذا المعنى، ومما يقتضب به: بل للإضراب، ولكن للاستدراك، ولا للنفي، ومن ذلك كلا للردع والزجر، ومنه سوى ذلك، ولا حاجة بنا إلى حصر ما يقع في هذا الباب إذ قد فهم الغرض منه"[2].

من هذا الكلام السابق يتضح لنا أن صور الاقتضاب كثيرة منها:

الاقتضاب باسم الإشارة: "هذا"، ولفظة: "ذلك"، و"كذلك"، و"وكذلك"، و"بل" للإضراب، و"لكن" للاستدراك، و"لا للنفي"، و" كلا" للردع والزجر، وصور أخرى متعددة؛ ولذلك أقف مع أربع صور وأولها: الاقتضاب باسم الإشارة (ذلك)

نجد سورة الحج مليئة بالاقتضاب باسم الإشارة (ذلك)، وهما في موضعين في السورة،

---

(١) الأقصى القريب في علم البيان، للإمام زين الدين محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، صـ ٨٤.

(٢) الأقصى القريب في علم البيان، صـ ٨٥، بتصرف واختصار.

الموضع الأول تكرر اسم الإشارة (ذلك) مرتين، وفي الموضع الثالث تكرر ثلاث مرات.

الموضع الأول:

قال تعالى: " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ "(١).

المناسبة ومعاني الآيات:

* لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْكُفَّارِ، وَصَدَّهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَتَوَعَّدَ فِيهِ مَنْ أَرَادَ فِيهِ بِإِلْحَادٍ = ذَكَرَ حَالَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَتَوْبِيخِهِمْ عَلَى سُلُوكِهِمْ غَيْرَ طَرِيقِهِ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاتِّخَاذِ الْأَصْنَامِ، وَامْتِنَانِهِ عَلَيْهِمْ بِإِنْقَاذِ الْعَالَمِ إِلَيْهِمْ(٢): أي: اذكر إذ بَيَّنَّا وَأَعْلَمنَا مَكَانَ الْبَيْت لإبراهيم - عليه السلام -، وَقُلْنَا لَهُ: لَا تشرك بِي شَيْئا(٣)، ثم فسر الله تعالى العبادة التي طالب الله ﷻ خليله بها هي:

أولًا - (لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا)، أي شيئا من الشرك، أي: اجعل عبادتك لي خالصة، فلا تشرك في عبادتك صنما، ولا كوكبا، ولا شمسا ولا قمرا، ولا تُرائي بأي نوع من الرياء في أي عبادة من

(١) سورة الحج، الآيات: ٢٨: ٣٣.

(٢) البحر المحيط، ٧/ ٥٠٠.

(٣) تفسير السمعاني، ٣/ ٤٣٣.

العبادات.

وثانيًا – تطهير البيت من كل ما فيه قاذورات حسا أو معنى، (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)، والقائمون هم القائمون للصلاة، فكأنه قد ذكر فيها الأمر بالصلاة، بالأمر بأركان من قيام وركوع وسجود، و (الرُّكَّعِ) جمع راكع، و (السُّجُودِ) جمع ساجد[1]، وفسرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك، والأمر بالتطهير لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك (طَهِّرا بَيْتِيَ) عام في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس، وغير ذلك وَالْقائِمِينَ يعني المصلين[2].

* ثم قلنا لإبراهيم: ناد الناس داعيا لهم إلى الحج وزيارة هذا البيت الذي أمرت ببنائه – يأتوك مشاة على أرجلهم وركبانا على ضوامر من الإبل من كل طريق بعيد.

ثم بين السبب في هذه الزيارة فقال: (لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ) أي: يأتونك ليحضروا منافع لهم في الدنيا من تجارة رائجة وسلع نافقة، ومنافع في الآخرة بما يعملون من عمل يرضى ربهم، وبما يحمدونه على النعم التي تترى عليهم، وما رزقهم من الهدايا والبدن التي أهدوها أيام النحر الثلاثة يوم العيد ويومين بعده.

(فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ) أي: فاذكروا اسم الله على ضحاياكم، وكلوا من لحومها، وأطعموا ذوى الحاجة الفقراء الذين مسّهم الضر والبؤس.

(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي: ثم ليزيلوا ما علق بهم من الأوساخ، فيحلقوا الشعر ويقلّموا الأظفار ويأخذوا من الشوارب والعارضين، وليوفوا ما نذروه من

(١) زهرة التفاسير، ٩/ ٤٩٧٠

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٣٨.

أعمال البر وليطوّفوا طواف الوداع بالبيت العتيق، إذ هو أقدم بيت للعبادة في حياة البشر[١].

* ثم يقول تعالى ذكره بقوله (ذلِكَ) هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور، والطواف بالبيت العتيق، هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) يقول: ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحُرمَه أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة[٢].

* وأحلّ الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكَّيتموها، فلم يحرّم عليكم منها إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله، وذلك: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردّية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذُبح على النُّصب، فإن ذلك كله رجس. (فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ) فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس، (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: (ما نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفى) وقولكم للملائكة: هي بنات الله، ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله[٣].

* واجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مَثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد[٤].

---

(١) تفسير المراغي، ١٧/ ١٠٧، ١٠٨.

(٢) تفسير الطبري، ١٨/ ٦١٧.

(٣) تفسير الطبري، ١٨/ ٦١٧: ٦١٩.

(٤) تفسير الطبري، ١٨/ ٦٢٠.

* ﴿ذلك﴾ أي الأمرُ ذلك أو امتثلُوا ذلك ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شعائر الله﴾ أي الهَدَايا فإنَّها من معالم الحجِّ وشعائِره تعالى كما ينبئ عنه "والبدن جعلناها لَكُمْ مّن شعائر الله" وهو الأوفقُ لما بعده، وتعظيمُها اعتقادُ أنَّ التَّقربَ بها من أجلِّ القُرباتِ وأنْ يختارَها حِسانًا سِمانًا غاليةَ الأثمان؛ فإنَّ تعظيمَها من أفعال ذَوي تقوى القلوبِ، أو فإن تعظيمها ناشيء من تقوى القلوب وتخصيصُها بالإضافة لأنَّها مراكزُ التَّقوى التي إذا ثبتتْ فيها وتمكَّنتْ ظهر أثرُها في سائر الأعضاءِ

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي في الهَدَايا ﴿منافع﴾ هي درُّها ونسلُها وصوفُها وظهرُها ﴿إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت نحرِها والتَّصدُّقُ بلحمها والأكلُ منه ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ أي وجوبُ نحرِها أو وقت نحرِها منتهيةً ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي إلى ما يليهِ من الحرمِ، وثمَّ للتَّراخي الزَّمانيِّ أو الرُّتَبِّي؛ أي: لكم فيها منافعُ دنيويَّةٌ إلى وقتِ نحرِها ثمَّ منافعُ دينيَّةٌ أعظمها في النَّفعِ محلُّها أي وجوبُ نحرِها أو وقت وجوبِ نحرِها إلى البيتِ العتيقِ أي منتهيةً إليه هذا، وقد قيل: المرادُ بالشَّعائرِ مناسكُ الحجِّ ومعالمُه، والمعنى لكُم فيها منافعُ بالأجر والثَّوابِ في قضاءِ المناسكِ وإقامةِ شعائرِ الحجَّ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى هو انقضاءُ أيَّامِ الحجِّ ثمَّ محلُّها أي محلُّ النَّاسِ من إحرامهم إلى البيتِ العتيقِ أي منتهٍ إليه؛ بأن يطوفُوا به طوافَ الزِّيارةِ يومَ النَّحرِ بعد قضاء المناسكِ فإضافةُ المحلِّ إليها لأدنى ملابسةٍ[1].

بلاغة الاقتضاب في الآيات الكريمة:

قال الإمام البيضاوي: " (ذلِكَ) خبر لمحذوف أي الأمر ذلك، وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين"[2]، وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي: " والمشهور في الفصل (هذا) كقوله: هذا،

(١) تفسير أبي السعود، ٦/ ١٠٥، ١٠٦.

(٢) تفسير البيضاوي، ٤/ ٧٠.

"وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ"(١)، واختيار (ذلك) هنا لدلالته على تعظيم الأمر وبعد منزلته. وهو من الاقتضاب القريب من التخلص، لملائمة ما بعده لما قبله، كما هنا"(٢).

وقال ابن عاشور: " (ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) اسْمُ الْإِشَارَةِ مُسْتَعْمَلٌ هُنَا لِلْفَصْلِ بَيْنَ كَلَامَيْنِ، أَوْ بَيْنَ وَجْهَيْنِ مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ، وَالْقَصْدُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى الِاهْتِمَامِ بِمَا سَيُذْكَرُ بَعْدَهُ؛ فَالْإِشَارَةُ مُرَادٌ بِهَا التَّنْبِيهُ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ مَا بَعْدَهُ غَيْرَ صَالِحٍ لِوُقُوعِهِ خَبَرًا عَنِ اسْمِ الْإِشَارَةِ فَيَتَعَيَّنُ تَقْدِيرُ خَبَرٍ عَنْهُ فِي مَعْنَى: ذَلِكَ بَيَانٌ، أَوْ ذِكْرٌ، وَهُوَ مِنْ أَسَالِيبِ الِاقْتِضَابِ فِي الِانْتِقَالِ، وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا الِاسْتِعْمَالِ لَفْظُ (هَذَا) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ)(٣)، وَأُوثِرَ فِي الْآيَةِ اسْمُ إِشَارَةِ الْبَعِيدِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى بُعْدِ الْمَنْزِلَةِ كِنَايَةً عَنْ تَعْظِيمِ مَضْمُونِ مَا قَبْلَهُ.

فَاسْمُ الْإِشَارَةِ مُبْتَدَأٌ حُذِفَ خَبَرُهُ لِظُهُورِ تَقْدِيرِهِ، أَيْ ذَلِكَ بَيَانٌ وَنَحْوُهُ. وَهُوَ كَمَا يُقَدِّمُ الْكَاتِبُ جُمْلَةً مِنْ كِتَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَغْرَاضِ فَإِذَا أَرَادَ الْخَوْضَ فِي غَرَضٍ آخَرَ، قَالَ: هَذَا وَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا(٤).

الغرض والسر البلاغي: تنبيه السامع واستثارة ذهنه لأمر عظيم.

نجد الآيات قسمت الناس إلى فريقين: مؤمنين وكافرين، وبينت عاقبتهم، ووضعت مشهدا لهم على أساس فريقين اختصموا في ربهم، فالذين كفروا فُصلت لهم ثياب من نار، بل وأحاطت بهم من كل جانب، والمؤمنون يدخلهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون بحلية من الأساور من الذهب واللؤلؤ ولباسهم فيها حرير، وذلك لأنهم اتبعوا الصراط المستقيم، أما

---

(١) سورة ص، الآية: ٥٥.

(٢) حاشية الشهاب، ٦/ ٢٩٣.

(٣) سورة ص، الآية: ٥٥.

(٤) التحرير والتنوير، ١٧/ ٢٥١.

المشركون فيصدون الناس عن سبيل الله، والمسجد الحرام.

وهنا تتشوق النفوس لمعرفة البيت الحرام وقصته، وعندما تتمعن النفوس في هذه الأوصاف، تأتي مناسك الحج، الذي هو الأساس لتوحيد الله؛ حتى يتوجه المسلمون بكليتهم لله، وعندما يعدد الله هذا المناسك ويعيش المؤمن في رحابها؛ يأتي اسم ذلك ليفصل هنيهة وليثير الانتباه إلى أن هناك محرمات وحرمات يجب على الحجاج أن يجتنبوا المحرمات والمحظورات، ويعظموا الحرمات؛ و" لما ذكر نبذا من مناسك الحج، فكان الحديث في التوصية في حرمات الحج وتعظيم شعائر الله، ناسب أن يذكر سائر المحرمات استطرادا؛ فذكر من أمهات الخبائث ما يستتبع سائرها من إشراك الأصنام، وقول الزور، وقصد إلى تحقير شأن الأصنام بأن جرد منها مثل الرجس، وأدخل عبادتها في جنس قول الزور، ومثل عبادتها تمثيلا عجيبا وتصويرا غريبا حيث قال: " فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ"، ثم لما أراد أن يبين حال من يعظم الشعائر أعاد بفصل الخطاب؛ فقال: ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"[1].

الموضع الثاني:

قال تعالى: "وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ* الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ* وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ* ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا

(١)حاشية القونوي، ١٣/ ٥٣.

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ"[١].

المناسبة ومعنى الآيات:

* لما ذكر – سبحانه – حال الكافرين أولا، ثم حال المؤمنين ثانيا، عاد إلى شرح حال الكافرين؛ فقال تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ: أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ فِي مِرْيَةٍ، أَيْ: فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا لَيْلَةَ لَهُ[٢].

* وفي يوم القيامة يكون الملك لله وحده، والسلطان له وحده، فهو الذي يحكم بَينهم أَي: يقْضِي بَينهم. ﴿فَالَّذِينَ آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات فِي جنَّات النَّعيم * وَالَّذين كفرُوا وكذبوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِك لَهُم عَذَاب مهين﴾ أَي: مذل مخز. ﴿وَالَّذين هَاجرُوا فِي سَبِيل الله ثمَّ قتلوا أَو مَاتُوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ الرزق الْحسن هُوَ: الَّذِي لَا يَنْقَطِع أبدا، وَذَلِكَ رزق الْجنَّة، وَإِن الله لَهو: أفضل الرازقين[٣]. ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً﴾ أي: الجنة ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَإِنَّ الله لَعَلِيمٌ﴾ بأحوال من قضى نحبه مجاهداً وآمال من مات وهو ينتظر معاهداً ﴿حَلِيمٌ﴾ بإمهال من قاتلهم معانداً[٤].

* (ذلك) أي: ذلك الرزق الحسن والمدخل الكريم لمن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا، ولهم أيضا النصر في الدنيا على أعدائهم وإلى ذلك أشار بقوله: (وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٢٨: ٣٣.

(٢) ينظر: حاشية الجمل على الجلالين، ٣/ ١٧٦، وتفسير ابن كثير، ٥/ ٤٤٦.

(٣) تفسير السمعاني، ٣/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٤) تفسير النسقي، ٢/ ٤٥٠.

عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ) أي: وإن من جازى من المؤمنين بمثل ما عوقب به ظلما من المشركين، فقاتلهم كما قاتلوه ثم بغى عليه باضطراره إلى الهجرة ومفارقة الوطن - لينصرنّه الله الذي لا يغالب، ولينتقمنّ له من أعدائه، ولينكّلنّ بهم، ويمكننه منهم، ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين كفروا السفلى؛ أي: إنه تعالى كما يدخلهم مدخلا كريما، يعدهم بالنصر على أعدائهم إذا هم قاتلوهم وبغوا عليهم وأخرجوهم من ديارهم. (وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) أي: وإن الله الذي أحاطت قدرته بكل شيء - ليعفو عن المؤمنين، فيغفر لهم ما أمعنوا فيه من الانتقام. وما أعرضوا عنه مما ندبه من العفو بمثل قوله «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»[1]، وقوله: «فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ» وقوله: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى»[2]، وهم بفعلهم هذا تركوا ما كان أجدر بهم وأحرى بمثلهم.

* ثم قرر نصره لعباده المؤمنين وأكده بقوله: (ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) أي ذلك النصر الذي أنصره لمن بغى عليه، لأنى أنا القادر على ما أشاء، ألا ترونني أدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، وأدخل ما ينقص من ساعات النهار في ساعات الليل، وبهذه القدرة التي تفعل ذلك أنصر محمدا وصحبه على الذين قد بغوا عليهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وآذوهم أشد الأذى على إيمانهم بي وحدي. (وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) أي: وأن الله سميع للأقوال وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات، بصير بما يعملون لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه شيء وإن كان مثقال ذرة.

* ولما وصف نفسه بما لا يقدر عليه غيره علل ذلك بقوله: (ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ) أي: ذلك الاتصاف بكمال القدرة وكمال العلم بسبب أن الله هو الثابت لذاته، وأنه لا مثيل له ولا شريك، وأن الذي يدعون من دونه من الآلهة باطل لا يقدر على صنع شيء بل هو المصنوع الموجد بعد العدم، (وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) أي: وأن الله فوق كل شيء وكل شيء دونه، وهو الكبير عن أن يكون له شريك، إذ لا شيء أعلى منه شأنا ولا أكبر سلطانا[١].

بلاغة الاقتضاب في الآيات الكريمة:

* قال السمين عند تفسيره قوله تعالى: " ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ": " قوله: ﴿ذلك﴾: خبرُ مبتدأ مضمرٍ أي: الأمرُ ذلك. وما بعده مستأنفٌ"[٢]، ومن المعلوم أن الاقتضاب قائم على القطع والاستئناف.

وقال القونوي في حاشيته على البيضاوي: " الأمر ذلك: أي ذلك خبر لمحذوف، ويسمى فصل الخطاب"[٣]، وقال عند تفسيره قوله تعالى: " ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " وصيغة البعد للتفخيم"[٤].

الغرض والسر البلاغي من الاقتضاب: لفت نظر المخاطب إلى أمر مهم.

* حيث كانت الآيات السابقة تتناول صورا من الصراع بين المؤمنين والكافرين، وما أعده الله لكل فريق فذكر عاقبة المؤمنين، وعاقبة الكافرين، ثم ذكر المهاجرين والمجاهدين الذين ماتوا أو قتلوا في سبيل الله، ولأنه موضوع في غاية الأهمية أراد الله أن ينتقل منه إلى موضوع آخر متصل به،

---

(١) تفسير المراغي، ١٧/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) الدر المصون، ٨/ ٢٩٦.

(٣) حاشية القونوي، ١٣/ ١٠٣.

(٤) حاشية القونوي، ١٣/ صـ ١٠٤.

وعلى نفس الدرجة من الأهمية وهو موضوع انتصار المظلوم لنفسه ومعاقبته لمن بغى عليه؛ فجاءت الآية الأولى، ثم أراد الله أن ينتقل إلى آية كونية عظيمة لها صلة بالصراع بين الكفر والإيمان يريد الله أن يلفت إليها أنظارنا في سياق الكلام، ولتكون معينا تنطلق منه الأمة وهي تداخل الليل في النهار، وتداخل النهار في الليل، كما يصيب الكفار من المسلمين ويصيب المسلمون من الكفار.

ثم ينتقل إلى موضوع ثالث أعظم ويريد أن ينظر المخاطب للالتفات إليه، وهو أن الحكم في هذا الصراع هو الإله الحق لا سواه؛ فيزداد ثبات المسلمين، ويشتد إقدامهم لأنهم أصحاب الحق وهم الثابتون عليه، أما الفريق الآخر فهم على باطل، ولا يدعون إلا الباطل، وهذا يزيد من إصرار أهل الحق وخذلان أهل الباطل؛ فإذا قال الله لهم: إنه هو العلي الكبير اطمأن أهل الحق لما هم عليه وما هم فيه، ولا يبالون بما يصيبهم في سبيل ذلك من بعض الأذى وقليل الضرر؛ فهو كما يدخل بعض الليل في النهار، يدخل مرحلة ثم يرجع، وبقي النهار إلى أن يأذن الله بذهابه، وهنا لفتهم إلى ثلاث قضايا كلها في غاية الأهمية، واستخدم في لفتهم اسم الإشارة (ذلك) في أول كل آية[1].

فالاقتضاب باسم الإشارة: " ذلك" في الآيات الكريمة السابقة، هو من قبيل الاقتضاب القريب من التخلص المسمى بفصل الخطاب؛ للملاءمة بين الكلامين، وكان حقه أن يذكر: "هذا"؛ ولكن لغرض بلاغي ذكر "ذلك" الدالة على البعد مثل التفخيم، ولفت نظر المخاطب إلى أمر مهم، واستثارته وتهيئته لأمر عظيم، وهذا من شأن أسلوب القرآن الكريم الذي يتنوع ليزداد جمالا وحلاوة.

(١) ينظر: المختصر المفيد في علوم القرآن المجيد، د/ حسين عبدالحميد أحمد، ٢/ ٢٣١، ٢٣٢.

المبحث الرابع

الاقتضاب باسم الإشارة ﴿هذا﴾[1]

قال تعالى: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ * هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ "[2].

المناسبة ومعاني الآيات:

لما ذكر سبحانه قصة ثلاثة من رسل الله بشيء من التفصيل، وهم داود، وسليمان، وأيوب – عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليمات؛ ليتأسى بهم النبي ﷺ في صبرهم على البلاء، ذكر بعدهم باختصار شديد ثلاثة آخرين من رسل الله ليتأسى بهم النبي ﷺ أيضا في الصبر على البلاء، وهم سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب – عليهم السلام؛ أي: اذكر يا محمد هؤلاء الأنبياء الأخيار وتأسَّ بهم، الذين جمعوا بين القوة في العبادة، والبصائر في الدين؛ فإنا جعلناهم خالصينَ لنا بخصلةٍ خالصةٍ عظيمةَ الشَّأنِ، وهي أننا صفيناهم عن شوب صفات النفوس وكدورة حظوظها، وجعلناهم لنا خالصين بالمحبة الحقيقية (بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) الباقية والمقر الأصليّ، أي: استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس، وإعراضهم عن معدن الرجس، مستشرفين لأنوارنا، لا

(١) أقتصر على توضيحه من خلال الآيات القرآنية المشتملة على (هذا) وتحليلها.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٥: ٥٨.

التفات لهم إلى الدنيا وظلماتها أصلا[١]، وهم عندنا أهل صفوة اصطفاهم الله -ﷻ- واختارهم لنفسه ولرسالته[٢].

* ثم أعقب ﷻ الرسل الثلاثة السابق ذكرهم بثلاثة آخرين، وهم سيدنا إسماعيل، واليسع، وذو الكفل -عليهم السلام-؛ أي: اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم[٣]، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ بالنبوة والرسالة، للهداية والإصلاح[٤]، وفصل ترجمة سيدنا إسماعيل عن أبيه وأخيه للإشعار بعلو شأنه، واستقلاله بالشرف والذكر، ولعراقته في الصبر، الذي هو المقصود بالتذكير، وهو أكبر بنيه[٥].

* ثم ذكر عامة المؤمنين، أو: ما أعد لمن ذكر آجلا، بعد ذكرهم الجميل عاجلا؛ فقال: (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ)؛ قال ابن كثير: أَيْ: هَذَا فَضْلٌ فِيهِ ذِكْرٌ لِمَنْ يَتَذَكَّرُ؛ وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي الْقُرْآنَ[٦]، وقال السمين: "قوله: ﴿هذا ذِكْرٌ﴾: جملةٌ جيْءَ بها إيذانًا بأنَّ القصةَ قد تَمَّتْ وأَخَذَ في أخرى"[٧]، وقال أبو حيان: لَمَّا أَمَرَهُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى سَفَاهَةِ قَوْمِهِ، وَذَكَرَ جُمْلَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِهِمْ، ذكر مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ مِنَ الْجَزَاءِ، وَمَقَرُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

---

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ٨/ ٦٣٧.

(٢) تفسير أبي السعود، ٧/ ٢٣٠، و محاسن التأويل، للقاسمي، ٨/ ٢٦٦.

(٣) تفسير الخازن، ٤/ ٤٥.

(٤) محاسن التأويل، ٨/ ٢٦٧.

(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفي: ١٢٢٤هـ)، ٥/ ٣٥.

(٦) تفسير ابن كثير، ٧/ ٧٧.

(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٩/ ٣٨٤.

وَلَمَّا كَانَ مَا يَذْكُرُهُ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ التَّنْزِيلِ، قَالَ: هَذَا ذِكْرٌ، كَأَنَّهُ فَصَلَ بَيْنَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَأَعْقَبَهُ بِذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ قَالَ: هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ؟ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَضَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَقِيلَ: هَذَا ذِكْرٌ: أَيْ شَرَفٌ تُذْكَرُونَ بِهِ أَبَدًا[1].

* ويُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ السُّعَدَاءِ أَنَّ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ حسن الْمُرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ. وفُسِّر بِقَوْلِهِ: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أَيْ: جَنَّاتِ إِقَامَةٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ. ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ قِيلَ: مُتَرَبِّعِينَ فِيهَا عَلَى سُرُرٍ تَحْتَ الْحِجَالِ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا وَحَضَرَ كَمَا أَرَادُوا. ﴿وَشَرَابٍ﴾ أَيْ: مِنْ أَيِّ أَنْوَاعِهِ شَاءُوا أَتَتْهُمْ بِهِ الْخُدَّامُ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾[2]، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أَيْ: عَنْ غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ فَلَا يَلْتَفِتْنَ إِلَى غَيْرِ بُعُولَتِهِنَّ ﴿أَتْرَابٌ﴾ أَيْ: مُتَسَاوِيَاتٌ فِي السِّنِّ وَالْعُمُرِ. ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ صِفَةِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهَا لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ الَّتِي يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ نُشُورِهِمْ وَقِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ مِنَ النَّارِ.

* ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْجَنَّةِ أَنَّهُ لَا فَرَاغَ لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ وَلَا زَوَالَ وَلَا انْتِهَاءَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾[3]، وَكَقَوْلِهِ ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[4]، وَكَقَوْلِهِ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[5]؛ أَيْ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ وَكَقَوْلِهِ: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ

---

(١) البحر المحيط، ٩/ ١٦٦.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٨.

اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[1][2].

* هذا الذي سبق وصفه للمتقين، أما الطغاة الذين تجاوزوا الحد في الكفر والمعاصي فإن لهم يوم القيامة شر مرجع ومصير؛ فإن لهم جهنم يباشرون حرها، ومِهادا يفترشونه، هذا حميم وغساق فليذوقوه، والغساق ما يغسق من صديد أهل النار، وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده، وعذاب آخر أو مذوق آخر من مثل العذاب المذكور، أي ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق في الشدة والفظاعة ﴿أزواج﴾ أَصْنَاف أَيْ عَذَابهمْ مِنْ أَنْوَاع مُخْتَلِفَة[3].

بلاغة الاقتضاب في الآيات الكريمات:

هنا اقتضاب باسم الإشارة (هذا) في موضعين: "هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ "، و"هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ".

قال الإمام الزمخشري: "هذا ذِكْرٌ أى: هذا نوع من الذكر وهو القرآن، لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه، وهو باب من أبواب التنزيل، ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، قال: هذا ذكر، ثم قال "وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ" كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه: أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار. قال: هذا وإن للطاغين"[4].

وقال ابن عجيبة: " (هذا): خبر، أي: الأمر هذا، أو: مبتدأ أي: هذا كما ذكر، وهو من

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٧/ ٧٧، ٧٨.

(٣) تفسير النسفي، ٣/ ١٦١، وتفسير الجلالين، صـ ٦٠٤.

(٤) الكشاف، ٤/ ١٠٠.

الاقتضاب الذي يقرب من التخلص، كقوله بعد الحمد: أما بعد. قال السعد: هو من فصل الخطاب، الذي هو أحسن موقعاً من التخلُّص. قال: "وقد يكون الخبر مذكوراً كقوله: "هَـذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ.. "الآية. ا. هـ"(١).

الغرض والسر البلاغي من الاقتضاب: هو تنشيط المخاطب ولفت نظره إلى موضوعات مهمة ترد في الآيات.

وتوضيح ذلك: كان الكلام على أنبياء الله الأوابين، والمصطفين الأخيار، وفاضت الآيات بمدحهم والثناء عليهم، وبيان فضلهم؛ فعاش معهم المخاطب بوجدانه، ثم أراد الله أن يلفت المخاطبين إلى صنف آخر غير الأنبياء، وهم المتقون المتبعون للرسل، والقائمون على أوامر الله -ﷻ-؛ ليؤكد أنه ﷻ سيلحقهم بهم، وأن لهم عند ربهم لحسن مآب كما كان للأنبياء، ليوقد الله جذوة الاتباع والعمل في نفوس كل عامل، ومتبع؛ فاستخدم اسم الإشارة فقال: " هذا ذكر "، وكأنه يقول: انتبهوا إلى ذكر آخر فيه شرف وعظمة فاشتاقت نفس المخاطب إلى معرفة ذلك فجاء ذكر المتقين فيذكر فضلهم وما أعد لهم، قال تعالى: "وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ "، ومع انشغال المخاطبين بالذكر الثاني وانسياقهم مع مناظر النعيم وأشكال المتاع يريد الله أن يأخذهم إلى موضوع آخر، ويخرج بهم من نشوة الإحساس بلذة ما يسمعون إلى ما يقابل ذلك من العذاب الذي ينغص القلب بسماعه وينقبض الصدر بما يذكر من أهواله، فيعود إلى نفس اللفظ ويشير به إلى الموضوع الجديد فيقول تعالى: " هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ "؛ أي: بعد أن وصف حالة

(١) البحر المديد، ٥/ ٣٧.

المتّقين في جنّاتِ عدن جاءَ دور الحديث عن الطاغين أَهْلِ جَهَنَّم.

فهو أسلوب في الربط رائع! يأخذ بلب المخاطب والمستمع فينتقل به من حديث إلى حديث، وفي كل حديث عبارات تخلب اللب، وتأسر الفؤاد، وكلها من عوامل انشراح صدر المؤمن بما يسمع وما ينتظر من نعيم، وتزيد من فرحه وسروره بما يسمع من وبال وشر وعذاب ينتظر الظالمين، فيسكن قلبه وينشرح صدره لما هو فيه من إيمان، وتنشط همته وتزداد عزيمته ويقوى صبره وصموده[1].

* فأسلوب الاقتضاب هنا رائق، والذى حسن من موقعه لفظة «هذا» فإنها جعلت له موقعا أحسن من التخليص[2].

فالاقتضاب باسم الإشارة (هذا) في الآيات الكريمة السابقة من فصل الخطاب، الذي هو أحسن موقعًا من التخلُّص، وغرضه: هو تنشيط المخاطب ولفت نظره إلى موضوعات مهمة ترد في الآيات.

(١) ينظر: البلاغة العربية، ٢/ ٥٦٢، ، والمختصر المفيد في علوم القرآن المجيد، ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ١٨١.

المبحث الخامس
الاقتضاب في المناظرات

قال تعالى:

" وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ "(١).

مناسبة قوله تعالى: "قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى" لما قبله:

قال الإمام أبو حيان: لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَصَصِ هَذِهِ السُّورَةِ، أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ بِحَمْدِهِ تَعَالَى وَالسَّلَامِ عَلَى الْمُصْطَفَيْنَ، وَأَخَذَ فِي مُبَايَنَةِ وَاجِبِ الْوُجُودِ، اللهِ تَعَالَى، وَمُبَايِنَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَدْيَانِ الَّتِي أَشْرَكُوهَا مَعَ اللهِ وَعَبَدُوهَا، وَابْتَدَأَ فِي هَذَا التَّقْرِيرِ لِقُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بِالْحَمْدَلَةِ، وَكَأَنَّهَا صَدْرُ خُطْبَةٍ لِمَا يُلْقِي مِنَ الْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ. وَقَدِ اقْتَدَى بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ فِي تَصَانِيفَ كُتُبِهِمْ وَخُطَبِهِمْ وَوَعْظِهِمْ، فَافْتَتَحُوا بِتَحْمِيدِ اللهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَبِعَهُمُ الْمُتَرَسِّلُونَ فِي أَوَائِلِ كُتُبِ الْفُتُوحِ وَالتَّهَانِي وَالْحَوَادِثِ الَّتِي لَهَا شَأْنٌ. وَقِيلَ: هُوَ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَأَمَرَ الرَّسُولَ ﷺ بِتَحْمِيدِ اللهِ عَلَى هَلَاكِ الْهَالِكِينَ مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ، وَالسَّلَامِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمُ النَّاجِينَ(٢).

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٥٤: ٦٠.

(٢) البحر المحيط، ٨/ ٢٥٥، ٢٥٦.

من خلال كلام أبي حيان يتضح أن أسلوب الآية يحتمل الاقتضاب على وجه، والتخلص على وجه آخر؛ لذلك قال ابن التمجيد:

"اعلم أن قوله تعالى: "قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ " يمكن أن يوجه على وجهين:

الأول: أن يكون ابتداء كلام مصدر بالتحميد غير متصل بما قبله من القصة فيكون من باب الاقتضاب، فيكون المذكور في علم البديع، وهو الخروج مما شبب الكلام به إلى المقصود من غير رعاية ملائمة بينهما ومنه يذكر في الخطب بعد الحمد لله، والصلاة على نبيه، ويقال: أما بعد، وههنا أيضا فقد أمر عليه الصلاة والسلام بأن يبتدئ بتحميد وتسليم لتلاوة الآيات الناطقة بالبراهين، وهي قوله " ...آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.." إلى آخر الآيات.

والثاني أن يكون متصلا بما قبله فيكون من باب التخلص المذكور في علم البديع أيضا، وهو الخروج من كلام إلى المقصود برعاية ملائمة بينهما بذكر كلام بينهما هو واسطة لرباط المقصود بالكلام الأول، وههنا جعل التحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء وإشاعتهم ذريعة على الشروع في قصته ﷺ مع مشركي قومه وأن له ولهم أسوة بالأمم الماضية، والأمم الخالية، اقتصر القاضي رحمه الله من هذين الوجهين على الوجه الثاني، وذكر صاحب الكشاف الوجه الثاني أيضا، حيث قال: وقيل: متصل بما قبله، وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء الناجين"[1].

وقال الإمام أبو حيان: " وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الرَّازِيُّ: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ مَنْ كَذَّبَهُمُ اسْتُوْصِلَ بِالْعَذَابِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُرْتَفِعٌ عَنْ أُمَّةِ الرَّسُولِ، أَمَرَهُ تَعَالَى بِحَمْدِهِ عَلَى مَا خَصَّهُ مِنْ

(١) حاشية القونوي، ١٤/ ٤٢٠.

هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَتَسْلِيمِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى مَشَاقِّ الرِّسَالَةِ. انْتَهَى، وَفِيهِ تَلْخِيصٌ [(١)].

الغرض والسر البلاغي في الاقتضاب: استثارة النفوس وتهيئتها لتلقي الشيء العظيم والمهم بعد استشعارها مزية وفضيلة الذكر.

قال الإمام الزمخشري: "أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده، وفيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث على التيمن بالذكرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع، ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله ﷻ وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن" [(٢)].

وقال الشيخ حبنكة – وهو يتحدث عن الاقتضاب-: "وقد علّمنا الله ﷻ في أداب المناظرة أن نبدأ بالحمد لله فالسلام على عباده الذين اصطفي، وننتقل مباشرة إلى أوّل فِقرَةٍ من فقرات المناظرة دون فاصل من الكلام، لأنّ عقد مجْلِس الْحِوَار قد كان لإقامَةِ مُنَاظرةٍ بيْن فريقَيْن على موضوع معين، ولكن المسلم لا يبدأ بأيّ أمر ذي شأنٍ حتَّى يَحْمد الله ويُسَلّم علَى رُسُله، فإذا فعل ذلك بدأ موضوعه دون حاجةٍ إلى تمهيد، نظراً إلى أنّ النفوس مُهَيّأَةٌ لاستقبال أوّل فقرات المناظرة، بعد

(١) مفاتيح الغيب، ٢٤/ ٥٦٢، والبحر المحيط، ٨/ ٢٥٦.

(٢) الكشاف، ٣/ ٣٥٧.

مقدّمة الحمد لله والسلام على رُسُله[١]، ثم قال: نجد هذا التعليم في قول الله ﷻ "قُلِ الحمد لِلَّهِ وَسَلاَمٌ على عِبَادِهِ الذين اصطفي ءَآللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السماوات والأرض وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السمآء مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا أإله مَّعَ الله بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الأرض قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البحرين حَاجِزاً أإله مَّعَ الله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ المضطر إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السواء وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأرض أإله مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البر والبحر وَمَن يُرْسِلُ الرياح بُشْرَاً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أإله مَّعَ الله تَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السمآء والأرض أإله مَّعَ الله قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السماوات والأرض الغيب إِلاَّ الله وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ"[٢].

من خلال تفسير المفسرين للآيا ت السابقة اتضحت لنا بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم؛ فالاقتضاب من ناحيتين:

الأولى: انتقال من حديث عن هلاك الأمم السابقة، وآخرها قوم لوط، وتنشيط الذهن واستثارته لتلقي كلاما جديدا في غاية الأهمية، وهو ما سيلقيه المصطفي ﷺ في مناظرته لقومه.

الثانية: الانتقال من التحميد والتسليم في بداية المناظرة بدون ذكر (وبعد – أما بعد)؛ لأن النفوس قد هُيئت لتلقي أول بنود المناظرة.

---

(١) البلاغة العربية، ٢/ ٥٦٣.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٥٩: ٦٥.

المبحث السادس

الاقتضاب بغير أداة[١]

قال تعالى: " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ "[٢].

مناسبة ومعنى الآية الكريمة:

هذه الآية القرآنية الكريمة وقعت ضمن سياق قصة سيدنا نوح – عليه السلام – في سورة هود – عليه السلام، وسيدنا نوح – عليه السلام – دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وخوفهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا، فما كان منهم إلا أن سخروا واستهزأوا به، وصموا آذانهم عن سماعه، وبعد فترة طويلة من الزمان، وصبر سيدنا نوح، أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن به، فلا يحزن، ثم أوحى الله إليه بصنع السفينة، ومع ذلك ازدادت سخرية قومه منه، ولما جاء أمر الله بإهلاكهم؛ أمر الله سيدنا نوحا أن يركب السفينة ويأخذ فيها من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكراً وأنثى أو اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثى وأهله إلا من سبق عليه القول أنه من المغرقين كنعان وأمه؛ لأنهما كانا كافرين، ويحمل كذلك من آمن به من المؤمنين غير أهله، ثم أمر الله ﷻ نوحا أن يخبر من حملهم معه في السفينة أن يركبوا فيها؛ فقال تعالى: " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ "[٣].

وهنا نقف عند كلام المفسرين في هذه الآية؛ لأنهم اختلفوا حوله؛ أي: " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا": هل هي كلام واحد؟ أم كلامان؟

أولًا: أقوال المفسرين في أن: " ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا " كلام واحد.

---

(١) المقصود من هذا العنوان: الاقتضاب بدون أداة مثل: "ذلك– هذا– كذلك"، وغير ذلك من الأدوات.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) ينظر تفسير الآيات: تفسير البيضاوي، ٣/ ١٣٢، وتفسير ابن كثير، ٤/ ٣١٦.

ذكر عدد من المفسرين هذا الرأي ضمن عدة آراء كالإمام الزمخشري، والإمام الرازي، والإمام أبي السعود؛ فقال الإمام الزمخشري: "ويجوز أن يكون كلاما واحداً وكلامين، فالكلام الواحد: أن يتصل "بِسْمِ اللهِ" بـ"اركبوا" حالا من الواو، بمعنى: اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين: بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء، حذف منهما الوقت المضاف، كقولهم خفوق النجم، ومقدم الحاج، ويجوز أن يراد مكانا الإجراء والإرساء، وانتصابهما بما في بِسْمِ اللهِ من معنى الفعل، أو بما فيه من إرادة القول"[(١)].

وقال الإمام الرازي: "فِي الْآيَةِ احْتِمَالَانِ: الِاحْتِمَالُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مَجْمُوعُ قَوْلِهِ: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) كَلَامًا واحدا، والتقدير: وقال اركبوا فيها بسم مجريها وَمُرْسَاهَا، يَعْنِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الرُّكُوبُ مَقْرُونًا بِهَذَا الذِّكْرِ"[(٢)].

وقال الإمام أبو السعود: " ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ متعلقٌ باركبوا حالٌ من فاعله أي اركبوا مسمِّين الله تعالى أو قائلين بسم الله ﴿مجراها ومرساها﴾ نصبٌ على الظرفية أي وقتَ إجرائِها وإرسائِها على أنهما اسما زمانٍ أو مصدران كالإجراء والإرساءِ بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجمِ، أو اسما مكانٍ انتصبا بما في "بِسْمِ الله" منْ مَعْنى الفعلِ، أو إرادةِ القول"[(٣)].

فمن خلال كلام السادة المفسرين يتضح الآتي:

١ – أن شبه الجملة: "بِسْمِ اللهِ" متعلق بمحذوف حال من ضمير الجمع في قوله تعالى:

---

(١) تفسير الزمخشري، ٢/ ٣٩٥.

(٢) تفسير الرازي، ١٧/ ٣٤٩.

(٣) تفسير أبي السعود، ٤/ ٢٠٩.

"اركبوا"؛ أي: اركبوا فيها مسمين الله؛ فهي "حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، وَصَاحِبُهَا الْوَاوُ فِي «ارْكَبُوا»[(١)]، وبناء على هذا التعلق تصير "ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا"؛ أي اركبوا مسمِّين الله تعالى أو قائلين بسم الله ﴿مجراها ومرساها﴾ .

٢ – وبناء على تعلق (بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا): بالواو في اركبوا، تكون مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إما:

أ – ظرفا زمان، والتقدير: ": اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين: بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، أو وَقْتَ جَرَيَانِهَا، ووقت إرسائها.

ب – أو مصدران ميميان بمعنى الإجراء والإرساء حذف منهما الوقت؛ كما مثلوا ب (خفوق النجم، ومقدم الحاج): فهذا المثالان يحتملان الأمرين؛ المصدر واسم الزمان، والمصدر هو المراد في الاستشهاد[(٢)]؛ ففي القول الأول: "أتيتك خفوق النجم" فإن التقدير وقت خفوقه إلا أنه لما حذف المضاف سدّ المضاف إليه مسده وانتصب انتصابه وهو كثير في المصادر"[(٣)].

ج – أو ظرف مكان؛ قال العكبري–: " مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا: ظَرْفَا مَكَانٍ، أَيْ مُسَمِّينَ مَوْضِعَ جَرَيَانِهَا".

٣ – والمعنى على هذا الإعراب وهذه التقديرات: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الرُّكُوبُ مَقْرُونًا بِهَذَا الذِّكْرِ، وهو يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْرَعَ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا وَيَكُونُ فِي وَقْتِ الشُّرُوعِ فِيهِ ذَاكِرًا لِاسْمِ الله تَعَالَى بِالْأَذْكَارِ الْمُقَدَّسَةِ حَتَّى يَكُونَ بِبَرَكَةِ ذَلِكَ الذِّكْرِ سَبَبًا لِتَمَامِ ذَلِكَ

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفي: ٦١٦هـ)، ، ٢/ ٦٩٨،

(٢) حاشية الطيبي، ٨/ ٧٤.

(٣) تفسير الآلوسي، ٦/ ٢٥٥، ٢٥٦.

الْمَقْصُودِ"[١].

ثانيا: أقوال المفسرين في أن: " ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا " كلامان:

ذكر عدد من المفسرين هذا القول ضمن عدة أقوال أيضا؛ فقال الإمام الزمخشري – بعد أن ذكر الرأي الأول –: ".. والكلامان: أن يكون (بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها) جملة من مبتدإ وخبر مقتضبة، أى بسم الله إجراؤها وإرساؤها"[٢].

وقال الإمام الرازي – بعد ما ذكر الاحتمال الأول: "وَالِاحْتِمَالُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَا كَلَامَيْنِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنَّ نُوحًا عليه السلام أَمَرَهُمْ بِالرُّكُوبِ، ثم أخبرهم بأن مجريها وَمُرْسَاهَا لَيْسَ إِلَّا بِسْمِ الله وَأَمْرِهِ وَقُدْرَتِهِ"[٣].

وقال الإمام أبو السعود: "... ويجوز أن يكون "بِسْمِ اللهِ مجريها وَمُرْسَاهَا" مستقلةً من مبتدأ وخبر في موضع الحالِ من ضمير الفلك؛ أي: اركبوا فيها مُجراةً ومُرساةً باسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى: " ادخلوها خالدين" أو جملةٌ مقتضبةٌ على أن نوحـًا أمرهم بالركوب فيها، ثم أخبرهم بأن إجراءها وإرساءها بسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه الصلاة والسلام .. ...."[٤].

فمن خلال كلام السادة المفسرين يتضح الآتي:

١ – أن جملة "بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" جملة مستقلة، وهي إما:

أ – متعلقة بالضمير في (فيها) العائد على الفلك أي السفينة؛ ؛ أي: اركبوا فيها مُجراةً ومُرساةً باسم الله.

---

(١) تفسير الرازي، ١٧/ ٣٤٩.

(٢) تفسير الزمخشري، ٢/ ٣٩٥،

(٣) تفسير الرازي، ١٧/ ٣٤٩.

(٤) تفسير أبي السعود، ٤/ ٢٠٩.

وقد تعقب بعض العلماء هذا التقدير؛ فقال الإمام الآلوسي في هذا التعقب: " بأن الحال إنما تكون مقدرة إذا كانت مفردة كمجراة أما إذا كانت جملة فلا لأن معنى الجملة اركبوا وإجراؤها بِسْمِ اللهِ وهذا واقع حال الركوب"(١).

ب – أو تكون مقتضبة؛ أي جملة جديدة؛ أي: أن نوحًا أمرهم بالركوب فيها، ثم أخبرهم بأن إجراءها وإرساءها بسم الله تعالى.

وهذا التقدير ذكره كثير من العلماء، ولم يعقبوا عليه تارة، وهناك من أضاف به معنى جديدا جميلا – أذكره في بلاغة الاقتضاب في العنصر التالي.

الغرض والسر البلاغي من الاقتضاب في الآية الكريمة:

أولا: نجد أسرارا بلاغية في هذه الآية تختلج النفوس، وتعانق الأرواح، بطمأنينة هؤلاء الذين سيركبون؛ لأنهم لأول مرة يشاهدون مثل هذه السفينة، ويركبون فيها، وفي ماذا في ماء البحر، الذي يخشى الإنسان منه الهلاك على نفسه؛ فيقول لهم سيدنا نوح – عليه السلام – لا تخافوا واركبوا؛ فإن إجراءها وإرساءها باسمه تعالى الذي آمنتم به متحققان لا شك في ذلك؛ قال الإمام الآلوسي: والجملة إما مقتضية منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا وطلبا على أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب في السفينة ثم أخبرهم بأن إجراءها وإرساءها بسم الله تعالى أو بأن إجراءها وإرساءها باسمه تعالى متحققان لا يشك فيهما، وفي ذلك حث على الركوب وإزالة لما عسى يختلج في قلوبهم من خوف الغرق ونحوه، ويروى عن الضحاك أنه عليه السلام كان إذا أراد أن يجريها، ويقول: بِسْمِ اللهِ فتجري، وإذا أراد أن يرسيها قال: بِسْمِ اللهِ فترسوا"(٢).

---

(١) تفسير الآلوسي، ٦/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) تفسير الآلوسي، ٦/ ٢٥٥.

ثانيا: بعد أن اطمأنوا وزال الخوف وركبوا، يذكرهم سيدنا نوح – عليه السلام – بأن السفينة سبب مادي فقط للنجاة من الهلاك، لكن هناك مسببها، وهو الله الذي يجري ويرسي السفينة بأمره؛ حتى لا يتعلقوا بشيء سوى الله؛ قال الإمام الرازي: "يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَ السَّفِينَةَ أَخْبَرَ الْقَوْمَ بِأَنَّ السَّفِينَةَ لَيْسَتْ سَبَبًا لِحُصُولِ النَّجَاةِ بَلِ الْوَاجِبُ رَبْطُ الْهِمَّةِ وَتَعْلِيقُ الْقَلْبِ بِفَضْلِ الله تَعَالَى، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُجْرِي وَالْمُرْسِي لِلسَّفِينَةِ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُعَوِّلُوا عَلَى السَّفِينَةِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَعْوِيلُكُمْ عَلَى فَضْلِ الله فَإِنَّهُ هُوَ الْمُجْرِي وَالْمُرْسِي لَهَا[1]. هكذا اتضحت بلاغة الاقتضاب من خفي المناسبة بين الآيات، وهي بلاغة تزيد المعنى رونقا وجمالا.

قلت: ربما يكون هناك تكلف من إطلاق لفظ الاقتضاب في الآية السابقة؛ خاصة إذا علمنا أن السياق واحد، والقائل واحد؛ وهو سيدنا نوح – عليه السلام –، ولو طبقنا الاقتضاب الذي هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة واضحة على مثل هذا الآية باعتبار القول كلامين، أو جملتين منفصلتين= لتوسع القول بالاقتضاب في القرآن، ولقال البعض إن العلاقات والمناسبات غير الواضحة كثيرة، وبالتالي تخفي الكثير من المناسبات!!!

نعم هناك بلاغة واضحة من جعلهما جملتين – كما بين المفسرون–؛ لكن أرى أن نبحث عن اسم آخر غير كلمة (الاقتضاب)؛ لإطلاقها على هذا الأسلوب من أساليب الفصل، مثل: شبه كمال الاتصال، على تقدير: " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا" فماذا قال؟ الجواب: " بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" أو كمال الاتصال على تقدير: " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا" مشتملة على قوله: "بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا".

(١) تفسير الرازي، ١٧/ ٣٤٩.

الخاتمة

أحمد الله ربي أن وفقني في الكتابة في ناحية من بلاغة القرآن الكريم، والوقوف على بعض أسرار الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبعد الوقوف مع بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم أستخلص أهم النتائج من هذا البحث، وهي:

أهم النتائج:

١ – حسن التخلص والاقتضاب يتوسطان مرحلة الابتداء والانتهاء في الكلام العربي، وهي مواضع يتأنق فيها الشاعر، فما بالنا بكلام الله ﷻ، وهو قمة البلاغة؟!!

٢ – تدور معاني الاقتضاب في اللغة حول: الاقتطاع، والارتجال، والإيجاز، والتلخيص، والاختصار، وكلها معان متقاربة، أما عند البلاغيين فيطلق على القطع والاستئناف، والانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة واضحة أو ظاهرة، وتجنيس الاشتقاق؛ أي: أن مصطلح الاقتضاب يبحر في علمين من علوم البلاغة: البيان والبديع.

٣ – الفرق بين التخلص (أو حسن التخلص) والاقتضاب هو المناسبة أو عدمها؛ ففي التخلص: يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا؛ أما في الاقتضاب فيبني المتكلم كلامه على "قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره، بلا علاقة واضحة أو ظاهرة تكون بينه وبينه.

٤ – وقع أسلوب حسن التخلص والاقتضاب في القرآن أسلوب القرآن الكريم كثيرا، ويبرز أسلوب الاقتضاب عندما تخفي المناسبة على كثير من الناس، وتحتاج إلى تدبر وتأمل وإمعان النظر.

٥ – صور الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم متعددة، منها: الاقتضاب باسم الإشارة: " هذا"، ولفظة: "ذلك"، و" كذلك"، و"وكذلك"، و "بل" للإضراب، و"لكن" للاستدراك، و "لا

للنفي"، و" كلا" للردع والزجر.

٦ – يكاد يكون السر البلاغي من الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم دائرا حول: تنبيه السامع وتنشيط واستثارة ذهنه لأمر عظيم، والاهتمام لما سيأتي بعدُ، ولفت نظر المخاطب إلى أمر مهم.

٧ – توسع المفسرون في إطلاق كلمة (الاقتضاب) في أسلوب القرآن الكريم؛ بحيث لو وجدوا جملتين في سياق واحد أطلقوا عليها الاقتضاب، ولكن أرى أن يطلق عليها أسلوب من أساليب الفصل والوصل.

المقترحات والتوصيات:

أقترح وأوصي بما يأتي:

١ – أن يقوم الباحثون في مجال البلاغة والدراسات القرآنية بكتابة رسالة ماجستير حول: "بلاغة الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم"، أو رسالة دكتوراة حول: "حسن التخلص والاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم"؛ وذلك لسبر أغوار الاقتضاب في أسلوب القرآن الكريم.

٢ – الاهتمام بدراسة علم مناسبات آيات القرآن الكريم؛ للوقوف على بلاغة القرآن الكريم، واستخراج أسرار هذه البلاغة.

والحمد لله أولًا وآخرًا

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١ – الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفي: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣ – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفي: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.

٤ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفي: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط: ١٤١٩ هـ.

٥ – البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفي: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٦ – التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفي: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧ – تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفي: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى.

٨ – تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي

محمد بن محمد بن مصطفي (المتوفي: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفي: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

١٠ - تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفي: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

١١ - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفي: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

١٢ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفي: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

١٣ - التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفي: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦هـ.

١٤ - تفسير المراغي، أحمد بن مصطفي المراغي (المتوفي: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م.

١٥ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفي: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

١٦ – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١٧ – حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفي: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.

١٨ – حاشية القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ) على تفسير الإمام البيضاوي (ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ)، ومعه حاشية ابن التمجيد (مصلح الدين مصطفي بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت ٨٨٠هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

١٩ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفي: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٢٠ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفي: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢١ – زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفي بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفي: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢٢ – الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، للشيخ سليمان الجمل، ط: الأولى، ١٣٠٣هـ، المطبعة العامرة الشرقية–القاهرة.

٢٣ – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين

الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفي: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: الأولى، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م.

٢٤ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفي: ٥٣٨هـ)، مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢٥ – لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفي: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٦ – محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمي هـ/ بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٧ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٨ – المختصر المفيد في علوم القرآن المجيد، د/ حسين عبد الحميد أحمد، بدون طبعة وتاريخ.

٢٩ – مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفي: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

٣٠ – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣١ – مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفي: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

ثالثًا: كتب المعاجم والطبقات:

٣٢ – أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفي: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

٣٣ – تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفي: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٣٤ – تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفي: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م.

٣٥ – سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفي: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦ – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفي: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

٣٧ – لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفي: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٣٨ – مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

٣٩ – معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفي: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م

٤٠ – معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة – بيروت، [١٣٧٧ – ١٣٨٠ هـ]

٤١ – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

٤٢ – معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.

رابعًا: كتب البلاغة والأدب:

٤٣ – الأقصى القريب في علم البيان، للإمام زين الدين أبي عبدالله محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، أحد أعيان السابعة للهجرة النبوية، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط: الأولى، ١٣٢٧هـ.

٤٤ – البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفي: ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط: الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

٤٥ – البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفي: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٤٦ – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفي: ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٤٧ – الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفي: ٦٣٧هـ)، تحقيق: مصطفي جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.

٤٨ – الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفي: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٤٩ – خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفي: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، ط: الأخيرة ٢٠٠٤م.

٥٠ – خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفي: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

٥١ – الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفي: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ.

٥٢ – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفي: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٥٣ – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد ال كافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفي: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٥٤ – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفي: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

٥٥ – كتاب المطول، للتفتازاني، وبهامشه حاشية السيد مير الشريف، بدون.

٥٦ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفي: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

٥٧ – من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفي: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥ م.

٥٨ – نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفي: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

خامسًا: أبحاث منشورة:

٥٩ – الاقتضاب وخفي المناسبة في الشعر الجاهلي، بحث منشور للدكتور أحمد حسن رمضان حسن، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الرابع والثلاثون، ١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢١م.

٦٠ – حسن الابتداء والخروج والانتهاء وعلاقة ذلك بوحدة القصيدة، د/ عبد الباري طه سعيد، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الحادي عشر، مؤسسة البستاني للطباعة والنشر، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

٦١ – حسن التخلص" ودلائل التماسك في الشعر الجاهلي، دراسة في مسالك تأليف المختلف، د/ أحمد حسن رمضان حسن، مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، ص – ٤٢٦، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية، ٢٠١٨م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية:	٨٨٠
ملخص البحث باللغة الإنجليزية:	٨٨١
المقدمة	٨٨٣
أهمية الموضوع وأسباب اختياره:	٨٨٣
الدراسات السابقة:	٨٨٣
حدود البحث:	٨٨٥
منهج البحث:	٨٨٥
خطة البحث:	٨٨٥
خطوات السير في البحث:	٨٨٦
التمهيد كلمة تاريخية في أسلوب الاقتضاب	٨٨٧
١ – الاقتضاب مذهب شعري حاضر بقوة في الشعر الجاهلي:	٨٨٨
٢ – براعة الشعراء المحدثين في التخلص أكثر من الاقتضاب	٨٩٢
٣ – حديث البلاغيين عن أسلوب الاقتضاب.	٨٩٣
المبحث الأول تعريف أسلوب الاقتضاب والعلاقة بينه وبين حسن التخلص	٨٩٩
أولاً: تعريف الاقتضاب.	٨٩٩
ثانيًا: تعريف حسن التخلص:	٩٠٣
ثالثًا: العلاقة بين الاقتضاب و حسن التخلص:	٩٠٥
المبحث الثاني الاقتضاب وعلم مناسبات آيات القرآن الكريم	٩٠٩

أولاً: وضوح المناسبة والارتباط بين الآيات:	٩١١
ثانيًا: خفاء المناسبة وعدم وضوحها:	٩١١
المبحث الثالث الاقتضاب باسم الإشارة (ذلك)	٩١٨
المبحث الرابع الاقتضاب باسم الإشارة (هذا)	٩٢٩
المبحث الخامس الاقتضاب في المناظرات	٩٣٥
المبحث السادس الاقتضاب بغير أداة	٩٣٩
الخاتمة	٩٤٦
أهم النتائج:	٩٤٦
المقترحات والتوصيات:	٩٤٧
ثبت المصادر والمراجع	٩٤٨
فهرس الموضوعات	٩٥٧